المعجم التاريخي: ماهيته ودوافعه وفوائده

(1)

أ.د. صادق عبد الله أبو سليمان

ماهية المعجم التاريخي:

المعجمُ التاريخيُّ لأيةِ لغة هومعجمٌ شاملٌ يرادُ له أنْ يعبّرَ عن كلِّ تاريخ مفرداتِ اللغة وتراكيبِها منذ نشأتِها، ويسير معها في أزمانها وبيئاتها المتنوعة في مختلِفِ الطبقاتِ الاجتماعيةِ والمهنية؛ لِيعرض لمعانيها وما طرأ عليها من تغيير صوتيٍّ أو بنيويٍّ أودلالي، ويبينَ ما دخل فيها من مفرداتٍ دخيلةٍ ويذكر أصولَها، وما يمكن أن يكونَ قد أصابها من تحويرٍ أوتغييرٍ في الصوتِ أوالبنيةِ أوالدلالةِ، وبيئاتِ هذا التغييرِ، وما انقرضَ منها، وبدائلَها العربيةَ الذائعةَ أو القليلةَ النادرةَ الاستعمالِ.

يُعنى هذا المعجمُ بدلالةِ الكلماتِ في عصورِها الممتدة، و بيئاتها العامةِ والعلميةِ المتنوعة، وُيُسَجّلُ استعمالاتِها المعاصرةَ في مجالاتِ الحضارة والمصطلحات العلمية و التقنية؛ فهذا المعجم - كما هو واضح - لا يفاضِلُ بين بيئةٍ وأخرى، أو زمن وآخر، أو كلمة وأخرى؛ فهو يتسع لنطوق الكلمة أو التركيب في اللهجات العربية المتنوعة قديمها وحديثها، وقد أوضح أوجست فيشرأنه يجب أن يحوي القاموس التاريخفي كل كلمة تُدووِلت في اللغة؛ فإنَّ جميعَ الكلماتِ المتداولة في لغةٍ ما لها حقوقٌ متساويةٌ في اللغةِ، وفي أنْ تُستَعرَضَ وتُستَوضَحَ أطوارُها التاريخيةُ في القاموس»[2].

يُسجّلُ هذا المعجمُ كلَّ مفرداتِ اللغةِ و تراكيبِها ومصطلحاتها دونَ تمييزٍ، منذ بداية ظهورها، ويسيرُ معها راصداً أحوالها الصوتيةَ والصرفيةَ والتركيبيةَ والدلاليةَ إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، ولكنه- وهو يفعلُ هذا- يُشيرُ إلى المستوى الفصيح أو اللهجيّ؛ ويُعنى بتصويرِ النُّطقِ من خلالِ الكتابةِ الصوتيةِ، وبوسائِل الإيضاحِ كالرسومِ والصورِ و التشكيل.

إنَّ معجمَ اللغةِ التاريخي معجمٌ وصفيٌّ من الطرازِ الأول غايته الاستقصاء، وَيُرَتّبُ مادتَهُ تاريخياً، ويلجأُ إلى المقارنةِ في حالاتِ التأصيل، وهو حافظةُ اللغةِ؛ لأنهُ لا يُهمِلُ شيئاً فيها؛ فهو يُعنى بذكرِ المستعملِ والمنقرِض، وكذلك يُسجّلُ الجديدَ الذي تُفْرِزُهُ قرائحُ العلماءِ والأدباءِ والمفكرينَ والفنانين والساسةِ والمبدعين، بل كل القادرينَ على الوضعِ الجديدِ؛ فهوَ كَنزُها المتنامي في مختلِفِ مجالاتِ الحياةِ.

ونحنُ نرى أننا بحاجةٍ إلى صنوفٍ متنوعةٍ من المعجماتِ التاريخية، يأتي في مقدمتها معجمُ اللغَةِ العربيةِ التاريخيُّ بصفةٍ عامةٍ، وهو ما تنصرفُ إليهِ أذهانُ كثيرٍ منّا عندما يُذكَرُ مصطلحُ» المعجم التاريخي».

أما صُنوفُ المعجماتِ التاريخيةِ الأخرى التي نقصِدها فهي هذه المكانزُ التي تَعرضُ لمصطلحاتِ العلومِ والآدابِ والفنونِ وغيرِها في أيةِ لغةٍ؛ وهي ذواتُ فوائدُ كثيرةٌ أهمُّها: هذا التأصيلُ والتأريخُ الذي يَكْشِفُ عن الجذورِ الأولى لأيّ صنفٍ معرفيّ، ويسيرُ معَ تطورِها وتبدلاتِها عَبْرَ الأزمنةِ والأماكن.

وباختصارٍ فإنَّ المعجمَ التاريخيُّ لأيةِ لغةٍ كتابٌ موسوعيٌّ كبيرٌ يُفتَرَضُ فيهِ أن يكونَ حاوياً لمسيرتِها منذُ بدايتِها حتى يومِها الذي تحياه، وعليه فإن العملَ في هذا المعجمِ بمختلِفِ صنوفِهِ يجبُ أنْ يكونَ مستمرّاً دون انقطاعٍ حتى يتمكَّنَ من الوفاءِ بكلّ أحوالِ لغته.

وعليه فإن هذا المعجم- كما نتصور- يقدّمُ سيرةً ذاتيةً شاملةً لكلّ لفظٍ وَرَدَ فيه؛ فهو يبين لقارئهِ أصل اللفظِ ومعناه وتاريخه، وإذا كان لهُ غيرُ معنىً فإنه يتتبعُ معانيَهُ المتنوعةَ من خلال الشواهدِ النصيةِ وسياقاتها المتنوعة، وكما هو معروفٌ فإنه يُعنى بذِكْرِ تاريخِ أولِ ظهورٍ للفظِ، وتتبُّعِ مسيرتهِ في مختلِفِ الأماكنِ والأزمنةِ حتى زمنِ آخرِ طبعةٍ له؛ فالمُفتَرَضُ فيه- كما أقولُ دَوماً- أنهُ ممتدٌّ إلى أنْ تقومَ الساعة يُعنى بتسجيلِ كلّ مايُنْتَجُ وَيَذيعُ في اللغة في أيّ زمنٍ أو مكان.

دوافع تأليفه:

كانَ لاحتكاكِ الشرقِ بالغربِ في العصرِ الحديثِ- سواءٌ حرباً أم سلماً- أَثَرُهُ في الفكرِ العربيّ؛ فقد كانَ الوطنُ العربيُّ حتى بدايةِ هذا العصرِ يعيشُ حالةً من الركودِ والتقوقعِ تجلَّت في إنتاجهِ الفكريّ والأدبيّ والعلميّ الذي شغِلَ أصحابُهُ- في الأغلبِ- بالتكرارِ شرحاً أو اختصاراً دونَ إبداعٍ يُضيفُ جديداً.

وكانَ التّوَجُّهُ إلى إعدادِ المعجماتِ الحديثةِ التي تَعْتَرِفُ بإضافاتِ المجتمعِ في اللغةِ أحدَ مظاهرِ هذا التأثرِ؛ وذلك بفعلِ عواملَ أهمها:

*** حِرْصُ العربي المُحْدَثِ في مختلِفِ أقطارِ العروبةِ على المحافظةِ على لغتهِ العربيةِ، والتعرُّفِ على أصولِها وأحوالِها وعلاقاتِها بغيرِها عبرَ العصور.

*** حاجةُ العربيةِ في عصرِ التطورِ العِلميّ والتِّقَنِيّ إلى كلِّ ما يَدْعَمُ قدراتِها في تلبيةِ متطلباتِ الحياةِ الحديثةِ التي تزخرُ في كلِّ يومٍ من أيامِها بأشكالٍ وألوانٍ متعددةٍ من الوافدِ الجديدِ الذي يحتاجُ إلى ألفاظٍ ومصطلحاتٍ وتراكيبَ عربيةٍ للتعبيرِ عنه.

*** وقوفُ المعجميّ بل اللغويّ العربيّ القديمِ باللغةِ عندَ حدودٍ زمكانيةٍ وجِنسيةٍ لا يتعداها؛ وفي المقابلِ رأى المعجميُّ العربيُّ الحديثُ أنَّ اللغويَّ في الغربِ منفتحٌ على لغةِ معاصريهِ، ولا يزدريها، فاقتنعَ بفائدةِ هذا التوجهِ؛ لتنميةِ اللغةِ، وجعلِها قادرةً على تلبيةِ متطلباتِ تطورِ العلومِ والحضارة، ورأى أنَّ عدمَ الاعترافِ بهذا الجديدِ الدالّ على منجزاتِ العصرِ ضارٌّ باللغةِ.

*** الاطّلاعُ على مناهجِ الدرسِ اللغويّ في الغرب؛ فقد رَأَى علماءُ العربيةِ المحْدَثونَ أنَّ علماءَ اللغةِ الغربيينَ يسيرونَ في دراساتِهم اللغويةِ وَفْقَ مناهجَ معينةً، هي: المنهج الوصفي، والمنهج المقارن، والمنهج التاريخي،

ورأوا أنَّ دراسةَ العربِ القدماءِ للغتهم، وإنْ حَمَلَت جانباً وصفياً فإنها لم تكنْ ممتدةً لتصفَ هذهِ اللغةَ عبرَ العصور، وأنها خلَتْ- في الأغلبِ الأعمِّ- من الجانبينِ المقارنِ والتاريخي.

- انعكاسُ النظرةِ التطورية أو التأريخية في العلومِ الأخرى في الدرس اللغوي الحديث؛ فقد كان لكتابِ دارون» أصل الأنواع»، الذي أذاع فيهِ فكرَهُ التطوريَّ المعروفَ باسم» مذهب النشوء والارتقاء»، أو «مذهب تنازع البقاء» بمصطلحِ» مجلة المقتطف» -أثرُهُ في مختلِفِ صنوفِ المعرفةِ الحديثة؛ الأمرُ وجدناهُ في كتاباتِ كثيرٍ من علماءِ العربيةِ ومفكّريها المحْدَثين.

وكان الطبيب اللبناني شبْلي شميّل(1860 - 1917م)– كما يذكر المُنْجِدُ في الأعلام-" أول مَنْ عَرَّفَ هذا المذهبَ إلى العالم العربي"[3]، ومن» أكبرِ الآخذين به، والمدافعين عنه في مصر»[4]، ومن الذين كتبوا في هذا المذهب د. يعقوب صروف(1852 - 1927م) أحد أصحاب مجلة المقتطف التي نُشِرَت في كثيرٍ من أعدادها مقالاتٍ حول هذا المذهب والدفاع عنه، والشيخ عبد الله العلايلي(1914 - 1966م)...الخ.

- عنايةُ أصحاب اللغات الأخرى بالمعجمِ التّاريخيّ، وإصدارِ معجماتٍ تاريخيةٍ أثارت غَيْرَةَ علماءِ العربيةِ الذين اطَّلعوا على إنجازاتِ غيرِهم في هذا المجال، كمعجمِ أكسفورد التاريخي، ومعجمِ اللغةِ العبريةِ التاريخيّ مؤخّراً.

إنَّ اطِّلاعاً في الأعمالِ المُعجميةِ التي وُضعتْ في العربيةِ قَبْلَ العصرِ الحديثِ يكشِفُ أنَّ كُلّاً من واضعيها ما وَضَعَ مُصَنَّفَهُ إلا ليحققَ شيئاً ظَنَّ أنَّ سابقيهِ لم يُفلِحوا في تحقيقِهِ، ولكنَّنا إذا ما تَفَحَّصْنا أعمالَهم فَسنجدُهُمْ فيها يُكَرِّرونَ أنفسَهُمْ في مادَّتِها، ولا يكادون يتميزونَ عن بعضِهِم إلا في

بعضِ مجالاتِ التَّرتيبِ العامّ، وتفصيلِ الشروحِ أو اختصارِها، وحَذْفِ بعضِ المفرداتِ، وما إلى ذلكَ من أمورٍ يُمْكِنُ أَنْ تنْتِجَ مَكْروراً معروفاً.

وعليهِ فقد وجدنا جمهرةَ علماءَ العربيةِ في العصرِ الحديثِ تؤكدُ ضرورةَ إعدادِ ما ينقصُ العربيةَ من معجماتٍ تراعي وصفَ العربيةِ في سياقاتها وأزمنتها وبيئاتها المتنوعة، وتعنى بجوانب المقارنةِ والتأصيل والتأريخ.

ونتج عن هذا الحَراكِ النقدي للعملِ المعجميّ العربيّ التراثي هذا التوجُّهُ المتَّفَقُ على أهميته في احتضانِ العربِ لمشروعِ إعدادِ معجمٍ تاريخيٍّ لعربيتِهم يَحكي مَسيرَتَها منذ أقدمِ عصورها، ويستمرُّ معها رابطاً بين مراحلِها المختلفةِ في مختلفِ أزمنتها وبيئاتها؛ ذلك أنَّ العربيةَ رغْمَ غِناها في المعجماتِ وأنواعِها ظلَّت تعاني نقصاً في بعضِ ألوانِ التأليفِ المعجمي ولاسيما التأصيلي والتاريخي والمقارن.

- رغبةُ الجمهورِ العربي ولاسيما علمائهِ ومفكّريه في التوحدِ؛ فجمهورُ علماءِ العربيةِ ومفكّريها يرى أنَّ إنجازَ هذا المعجمِ يُشكِّلُ أهمَّ إحدى رَكائزِ وَحْدةِ العرب، وأهمَّ عناصرِ استمرارِها.

فوائده:

هناك مجموعةٌ من الفوائدِ التي يُمْكنُ لأصحابِ لغةِ المعجمِ التاريخيّ جَنْيُها، أهمُّها:

***- المعجمُ التاريخيُّ كَنْزُ اللغةِ المتنامي؛ فهو يَحْوي إنتاجَ أصحابِ اللغةِ من المفرداتِ والتراكيبِ في تاريخهم الماضي والحاضرِ والآتي، إنه ديوانُ الأمةِ الجامعُ؛ لذا فهو سَيُشَكّلُ مصدراً ثَرّاً يَمُدُّهُمْ بما يحتاجونَهُ في مجالِ اللغةِ ومضامينها؛ فَتاريخُ اللغةِ هو مِرْآةُ تاريخِ أَيَّةِ أمةٍ.

***- المعجمُ اللغويُّ العامُّ أو الشاملُ ولاسيما التاريخيُّ لِلُغَةِ أمةٍ ما يُشَكِّلُ في الوقتِ نفسِهِ صوراً لغويةً تلخصُ معارفَ هذهِ الأمةِ في جميعِ جوانبِ حيواتِها المتنوعةِ: العلميةِ والأدبيةِ والثقافيةِ والفنيةِ والعسكريةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والدينيةِ والأخلاقيةِ والاجتماعيةِ والمِهَنِيَّةِ وغيرِها، وتكشفُ مجالاتِ تَفَوُّقِها أوتأخرِها؛ فَغِنى اللغةِ في مجالٍ ما لَيُشَكِّلُ دَليلاً واضحاً على قوةِ الأمةِ وتقدمِها فيه، والعكسُ صحيحٌ.

ونحنُ العربَ في هذهِ الأيامِ التي تتكالبُ فيها الأممُ المستعمرةُ علينا، ويزدادُ شعورُنا بالضعفِ العلميّ والتِّقني والحضاريّ، وعدمِ القدرةِ على الصَّدِّ أوالمواكبةِ بحاجةٍ إلى عنصرٍ جامعٍ يُذكِّرُ أجيالَنا المعاصرةَ بما قَدَّمَهُ أَسلافُهُمْ من خِدْماتٍ جليلةٍ[5] في مجالاتِ العلومِ والحضارةِ الإنسانيةِ؛ فهذا المعجمُ سيبينُ للعالَمين كيفَ أنَّ العربَ بعد الإسلامِ قد أنشأوا حضارةً إنسانيةً أفسحوا المجالَ فيها لكلِّ مَن لديهِ القدرةُ على الإنتاجِ والإنجازِ، وذلك انطلاقاً من دعوةِ دينهم الحنيف إلى المساواةِ بين أبناءِ البشرِ؛ فلا فرق فيه بين عربيٍّ وعجميٍّ إلا بالتقوى.

*** - يبيّنُ هذا المعجمُ أن اللغةَ العربيةَ من أقدمِ اللغاتِ الكونيةِ، إنْ لم تكن أقدَمَها، وأنها امتدت لتكونَ لساناً لبيئاتٍ عربيةٍ وغيرِها، وخاصةً بعدَ أنْ كُلِّفَ النبيُّ محمدٌ العربيُّ القُرَشِيُّ صلى الله عليه وسلم بإبلاغِ خاتَمِ الأديانِ للبشريةِ جمعاء؛ الأمر الذي حقق لها هذا التوسعَ المكاني، وأكسبَها قداسةً تمنعُ من التخلّي عنها.

وعلى هذا فإنَّ هذا المعجمَ سَيُسَجِّلُ لهذهِ اللغةِ طواعيتَها لألسنةِ غيرِ العرب، وقدرتَها على التعبيرِ عن إنجازاتِ حضاراتِهم، وما أُضيفَ إليها من إنجازاتِ المسلمينَ العلميةِ والحضاريةِ والقيميةِ وغيرِها في مختلِفِ البيئاتِ الإسلامية، وَسَيبينُ أنها من أوسعِ اللغاتِ مادةً واشتقاقاً وَتَنَوُّعاً دلاليّاً، وأقدرِ اللغاتِ على التعبيرِ عن مستجداتِ حيواتِ أهلِها، وأنها لم تتخلَّفْ أوتجمدْ عن الوفاءِ بمتطلباتهم التعبيريةِ مها.

***- يكشف هذا المعجمُ عن حيويةِ اللغةِ العربيةِ، وقدرتِها الفائقةِ على تلبيةِ متطلباتِ أهلِها من الألفاظِ والتراكيبِ التي تُعَبِّرُ عن متغيراتِ الحياةِ في المجالاتِ المتنوعةِ؛ وقد شهدَ علماءُ اللغاتِ من عربٍ وغيرِهم على تميزِها في هذا المجالِ، حيثُ أثبتت قدرتَها على الوضعِ الجديدِ المقيس، واستطاعت بمحافظتِها على أنظمتِها الصوتيةِ والصرفيةِ والتركيبيةِ والدلاليةِ أنْ تُعبِّرَ عن هويةِ أمتِها على مدى أكثرَ من عشرينَ قرناً، وبالتالي فإنه سيسهم إسهاماً بليغاً في زيادةِ تمسكِ العربِ بلغتِهم، واعتزازهم بتاريخِها وقدراتِها التعبيريةِ الفائقة.

***- يُشكِّلُ هذا المعجمُ مصدراً غنيّاً للدارسينِ في مختلِفِ مجالاتِ الحياةِ العربيةِ في تاريخِها الطويل؛ فهو يدعمُ صلتَهم بماضي أسلافِهم في تاريخِهم الممتد، ويربطُهم بحاضرِهم؛ وبالتالي فإنَّ مضمونَ هذا المعجمِ سيكشفُ لأجيالِ العربِ المعاصرةِ واللاحقةِ تاريخَ أسلافهم، ومشاركاتهم في رفدِ الحضارةِ الإنسانية بمنجزاتٍ علميةٍ وفكريةٍ وأخلاقيةٍ وعقديةٍ واقتصاديةٍ لا يمكنُ إنكارُها، وَسَيَمُدُّ عربَ اليومِ- في ظلِّ ما يعانونَهُ من ضعفٍ؛ مِمّا فَتَحَ المجالَ للسيطرةِ عليهم- بطاقاتِ الحفزِ والتوحدِ لغةً وعقلاً جمعيّاً خلاقاً؛ سعياً إلى إعادةِ قُوى الأمجادِ العربيةِ السالفةِ في مختلِفِ المجالاتِ: جيشاً وفكراً علميّاً وإسهاماً حضاريّاً تعبرُ عنه لغتُهُمُ الموحّدةُ[6] المعاصِرَةُ؛ الأمرُ الذي يعيدُ لها دورَها المرموقَ في التعبيرِ عن إنتاجٍ مرموقٍ يعيدُ للعربيّ مكانته المرموقةَ بين شعوبِ الأرض.

***- وفي مجال الدرسِ اللغوي سيُغني هذا المعجمُ الدراساتِ اللغويةَ خاصةً بمعلوماتٍ سيحتاجُ جامعوها إلى جهدٍ كبيرٍ للحصولِ عليها في حالةِ عدمِ وجودِه؛ فهو سَيَكْشِفُ لدارسي العربيةِ ومتخصصيها عن سياقاتِ اللغةِ في مختلِفِ جوانبِها النطقيةِ والبنيويةِ والتركيبيةِ والدلاليةِ، وسيعينُ الباحثينَ على رصدِ مظاهرِ التغييرِ فيها؛ الأمرُ الذي سيُمكِّنُهمْ منَ التَّعَرُّفِ على مشكلاتِها، وطرائقِ أهلِها في التغلُّبِ عليها.

وفي هذا السياقِ سَيُسْهِمُ إنجازُ هذا المعجمِ في مُراجَعَةِ كَثيرٍ مِمّا جاءَ عن السابقين، وَتَحقيقِهِ التحقيقَ العِلْمِيَّ السليمَ، ومدِّهِ بالشواهدِ اللغويةِ الموثوقةِ المؤيدةِ لاستعمالهِ، وسيمدُّ الباحثينَ والدارسينَ بكثيرٍ من المعلوماتِ التي تُساعدُهم في إعدادِ رسائلهم العلميةِ ومباحثهم، وإخراجِها مُحْكَمَةَ المادةِ العلميةِ في مجالات حيوات العربِ في بيئاتهم المتنوعة، وأزمنتهم الممتدة.

***- يَعْرِضُ هذا المعجمُ لوحدةِ اللغةِ العربيةِ منذ بداياتها الأولى إلى الآن؛ فهو يصلُ الحاضرَ بالماضي؛ ليكونَ أساساً واصِلاً لهما بمستقبلِ أهلِها، وهو بذلكَ يقفزُ عن سُنَّةِ المعجمات العربيةِ القديمةِ، وكثيرٍ من الحديثةِ في الوقوفِ باللغةِ عند أسيجةٍ مانعةٍ من الامتدادِ والانتشار؛ فكان المعجميُّ يؤلف معجمه في القرنِ السابعِ الهجري، ولكنه يتنكَّرُ للغتهِ، فلا يُثبتُ منها شيئاً من جديدِها فيه؛ لذا فإن لهذا المعجمِ قيمةً كبرى تكمنُ في أنه جمعَ اللغةَ العربيةَ في مكانٍ واحدٍ وَحَّدَ فيه عصورها وأماكنها دون تمييز.

***- يُشَكِّلُ المعجمُ التاريخيُّ باحتوائِهِ على كلِّ ما تصلُ إليه أيدي المشاركينَ في جمعِ مادتهِ وإعدادهِ مصدراً رئيساً للمعجماتِ العربيةِ الأخرى بمختلِفِ صنوفِها وأهدافِها ومستوياتها؛ وهو في هذا السياقِ سيكونُ مصدرَ إنتاجٍ ثريٍّ لمعجماتٍ تأصيليةٍ، ومرحليةٍ تعليميةٍ، وسياقيةٍ، وتراثيةٍ لهجيةٍ ومعاصرةٍ قد يكون لها فوائدُ تأصيليةٌ أو تفسيريةٌ، واصطلاحيةٍ متخصصةٍ، وكاشفةٍ عن علاقاتٍ دلاليةٍ تعبّرُ عن مستوياتٍ وخصائصَ في العربيةِ كالتراكيب المتلازمة أو ما يسميها بعضنا المسكوكات بل التراكيبِ المزجيةِ بالمصطلح اللغوي العربي القديم، والفروق الدلالية، والترادف والتقارب في المعنى والمشترك والتضاد؛ فهذا المعجمُ سيكونُ قادراً على تَتَبُّعِ حيواتِ كلِّ ما في العربيةِ من ألفاظٍ أو تراكيبَ أو تعابيرَ مجازيةٍ، وما جدَّ فيها، أو أصابَها من تغييرٍ عَبْرَ العصور.

***- إنَّ للمعجمِ التاريخيّ قيماً علميةً وحضاريةً وأدبيةً وفكريةً كبرى تكشفُ عنها قِيَمُهُ اللغويةُ؛ لأنَّ التأصيلَ لموادِّهِ اللغويةِ واشتقاقاتِها وما تحملُهُ من دلالاتٍ متنوعةٍ عبر تاريخِ اللغةِ الطويلِ يُشكِّلُ تأصيلاً وبياناً لمحتوياتها الفكريةِ والعلميةِ والحضاريةِ والأدبيةِ وغيرِها، وتتبعاً للألفاظِ والتراكيبِ والمصطلحاتِ التي اقترنت بها.

***- يكشِفُ المعجمُ التاريخيُّ عن علاقاتِ أصحابِ اللغةِ بغيرِهم من الشعوب؛ فهو- نتيجةً لِما فيهِ من تأصيلٍ تاريخيّ، وتحليلٍ مقارَنٍ لمفرداتِ اللغةِ وتراكيبِها، وَتَتَبُّعٍ لِمعانيها في مختلِفِ البيئاتِ والسياقاتِ- سَيكشفُ عن دخيلِها الوافِدِ؛ الأمرُ الذي سيجعلهُ سِجِلاً أميناً يُوضِّحُ علاقةَ أصحابِ اللغةِ بغيرِهم من الشعوبِ في مختلِفِ المجالات.

وهو في هذا السياقِ سَيُطْلِعُ مرتاديهِ على علاقاتِ العربِ بغيرِهم من الشعوب، وسيوضّحُ لهم كيفَ أنهم أفادوا واستفادوا، وكيفَ أنهم تَمَكَّنوا من تنميةِ لغتِهم العربيةِ، والمحافظةِ على فصاحتِها وسلامةِ تراكيبِها، ومَدِّها بألفاظٍ ومصطلحاتٍ جديدةٍ فيما اقتبسوهُ أو ترجموهُ عنِ الأممِ الأخرى كاليونانِ والرومانِ والهنودِ والفرسِ والغربيين؛ الأمرُ الذي سَيَصُبُّ في خاناتِ الرَّدِّ على افتراءاتِ الكائدينِ أو المغرَّرِ بهم في اتهامِ العربيةِ بالقُصورِ والعجزِ عن التعبيرِ عن المستجداتِ العلميةِ والتقنيةِ والحضاريةِ المعاصرة.

***- يَكشفُ معجمُ اللغةِ التاريخيُّ عن الروابطِ التي تربطُ بين المتحدثينَ بها، وعليهِ فإنَّ إنجازَ المعجمِ التاريخيّ للغةِ العربيةِ سَيُصبُّ في خدمةِ قضيةِ أنَّ الأمةَ العربيةَ جَسَدٌ واحِدٌ تتفاعلُ مكوّناتُهُ أفراحاً وأتراحاً؛ الأمر الذي عبَّرَ عنهُ شاعرُهمُ العروبيُّ علي الجارم:(الطَّويل)

إذا مَسَّتِ البأساءُ أذيالَ دجْلَةٍ قرأتَ الأسَى في صَفْحةِ النيلِ والكَمْدا
وَإنْ طُرِفَتْ عينٌ ببغدادَ مِن قَذَىً رأيتَ بمصرٍ أَعْيُنَاً مُلِئتْ سُهْدا
إخاءٌ على الفُصْحَى تَوَثَّقَ عَقْدُهُ وَشُدَّتْ على الإيمانِ أطرافُهُ شَدّا
لَنا في صميمِ المَجْدِ خَيْرُ أُبُوَّةٍ زُهينا بِها أَصْلاً وتاهَتْ بِنا وُلْدَا

إنَّ هذا المعجمَ سَيكونُ لهُ أَثرُهُ القويُّ في تعزيزِ الأواصرِ بينَ أبناءِ العُروبةِ؛ فاللغةُ- كما هو معروفٌ- من أهمِّ وسائلِ الربطِ بينَ المتحدثينَ بها؛ وعليهِ فسيكونُ للنجاحِ في إنجازِ هذا المعجمِ أثرُهُ في تعزيزِ روافدِ القوميةِ العربية؛ فاللغةُ هي أهمُّ أعمدةِ القوميةِ عند شُعوبِ الأرض.

نحو إعدادِ معجمِ اللغةِ العربية التاريخيّ

(2)

العمل المعجمي العربي التراثي في خدمةِ المعجم التاريخي للعربية:

يعتمدُ إعدادُ هذا النوعِ من المعجمات في المقامِ الأولِ على ما تَكْنِزُهُ إبداعاتُ الأدباءِ والمفكرينَ، ومُصَنَّفاتُ العلماءِ ودراساتُهم التي تُعْنى ببيانِ معاني مفرداتِ اللغة، وتصنيفِ صيغِها ودلالاتِها، والبحثِ في أسرارِ تراكيبها وسياقاتِها، وذِكْرِ ما فيها منَ المترادفِ والأضدادِ والمشتَرَكِ والغريبِ، والمهجورِ والدخيلِ وأصولِهِ وما إلى ذلك.

وفي هذا السياقِ فإنَّ القائِمينَ على إعدادِ هذا المعجمِ المنشودِ سيجدونَ في تراثِ العربيةِ عبرَ أزمنتِها وأماكنِها المتنوعةِ أصولاً وَجُهوداً مفيدةً يُمْكِنُهم الاستِفادةُ منها، وَتَنْمِيَتُها بما يضيفونهُ إليها.

أقول:

قدَّمَ معجميو العربيةِ الأوائلُ لنا في حدودِ منهجهم في جمعِ اللغةِ مادةً لغويةً خصْبةً[7] يمكنُ أنْ تشكِّلَ أساساً يمكنُ البناءُ عليه، مع الأخذِ بعينِ الاعتبارِ أنَّهم أهملوا جوانبَ مُهِمَّةً في اللغةِ؛ إذْ فضَّلوا الفصيحَ على اللهجيّ، وأخذوا عن قبائلَ أو مناطقَ وأهملوا أخرى، ووقفوا باللغةِ عند زمنٍ معينٍ، وبالجملةِ فإنهم وقفوا باللغةِ عند أَسْوِجةِ نظريةِ الاحتجاج[8]: الزمنِ والبيئةِ والجنس؛ فلم يلتفتوا- في الأغلب الأعمّ- إلى ما أصابَ اللغةَ من تغييرٍ، أو دخلَها من الأعجميّ أو الدخيلِ أو المُعَرَّبِ أو المُوَلَّدِ مِمّا لم يَرِدْ عن العربِ المحتَجّ بلغتهم.

ومع هـذا فإنَّـهُ يُـمْكِنُ لِمُعِـتدّي المعجـمِ التاريخيّ في اللغةِ العربيـةِ - في حدودِ معرفتِهم بحدودِ هذا المنهجِ اللغويّ العربيّ الصّارِمِ- أنْ يستفيدوا من التراثِ العربيّ بمختلِفِ أزمنتِهِ في مختلِفِ فروعِ التصنيفِ كالرسائلِ اللغويةِ، والمعجماتِ، وكتبِ الصرفِ والنحوِ، وفقهِ اللغةِ وأسرارِها وبلاغتها، والكتبِ التي وضعها أصحابُها بغيةَ تنقيةِ اللغة-؛ محافظةً على النمطِ العالي لها عندهم، وهو المستوى الفصيح، وذلك فيما عُرِفَ قديماً وحديثاً بكتبِ اللحنِ أو تقويمِ اللسان، أو التهذيب، أو التصويب، أو أغلاط العرب، أو الدخيل، أو المُعَرَّب...الخ-، وكتبِ الأدبِ، والإعجازِ، والبلاغةِ، والنقد، والتفسير، والتاريخ، والجغرافية، والتراجم وغيرها في مختلِفِ صنوفِ المعرفة[9].

إنَّ هذهِ المصنفاتِ القديمةَ وغيرَها تُشكِّلُ- بلا ريبٍ- جزءاً حَيَوِيّاً في تاريخِ الأمةِ العربيةِ الإسلاميةِ؛ فقد عُنِيَ مُصنِّفوها بجمعِ العربيةِ ودراسةِ آثارِها الأدبيةِ والفكريةِ في العصرِ الجاهلي، ومضت لترصدَ جوانبَ مهمةً من أثرِ الإسلامِ في هذهِ اللغةِ وفكرِ أصحابه، وما نتجَ عن اتصالِ العربِ

بغيرِهم من الأجناسِ الأخرى، وانتقالِهِم من الصحراءِ ذاتِ الحياةِ المُتَنَقِّلَةِ إلى بلادِ الحضارةِ والاستقرارِ في بلادِ الشامِ والعراقِ ومصرَ وفارسٍ والروم والأندلس.

وليسَ من شكٍّ في أنَّ تَتَبُّعَ إنتاجِ العربيةِ عَبْرَ تاريخِها الطويلِ سيكشِفُ عن إضافاتٍ جديدةٍ أبدعَها الكتّابُ والعلماءُ في هذهِ البيئاتِ الجديدةِ التي كان لها آثارُها في رفدِ متنِ العربيةِ بها، وهي إضافاتٌ أو روافدُ يمكنُ أنْ تُشكِّلَ جوانبَ مهمةً في تاريخِ العربيةِ، وإعدادِ معجمِها التاريخي.

مقدمات الدرس اللغوي التاريخي في العربية في العصر الحديث:

إذا ما سِرْنا مع العملِ المُعجميّ خطواتٍ إلى العصرِ الحديثِ فسنجدُ أنفسَنا مُوَزَّعِينَ على اتجاهَينِ رئيسين:

الأولُ دارَ في رَحى القُدماءِ فَعُنِيَ في دراساتِهِ ومصنفاتِهِ بما عُنوا به، وإنْ وجدنا من بينِ أصحابِهِ مَنْ وَجَّهَ إليهم سهامَ نقدِهِ، فسعى إلى التخلصِ من بعضِ عيوبِ معجماتِهم، ولكنَّ أصحابَ هذا الاتجاهِ لم يسلموا- في الأغلبِ الأعمِّ- من بعضِ مآخذَ أخذها عليهم معاصروهم من علماء المعجمِ العربي أيضاً.

أما الآخَرُ فاستفادَ من اطِّلاعِ أصحابِهِ على إنجازاتٍ في الدرسِ اللغويّ ومجالات العمل المعجمي فيه بغيرِ اللغةِ العربيةِ، ولاسيما إنجازاتِ علماءِ اللغةِ الغربيينَ، وليسَ من شكٍّ أيضاً في أنَّ الدرسَ اللغويَّ العَرَبِيَّ عند هؤلاءِ المُحْدثينَ قد تَعزَّزَ باطّلاعِ أهلِهِ على هذهِ الدراساتِ اللغويةِ الغربيةِ ومناهجِها في البحثِ والتصنيفِ، سواءٌ بطريقِ اللقاءِ المباشرِ، وذلك بابتعاثِ بعضٍ من الشبابِ العربيّ إلى الغربِ للدراسة، أم بالاطّلاعِ على جهودِ الغربيينَ من خلالِ الترجمةِ إلى العربيةِ، أم باستقدامِ المستشرقينَ للتدريسِ في الجامعاتِ العربيةِ، أو إشراكِهم أعضاءً في مجامعِ اللغةِ العربية، ولاسيما مجمع اللغة العربيةِ في القاهرة الذي جاءَ مجمعاً عالَمِيّاً؛

فهو منذُ نشأتِهِ،- وما يزالُ- نراهُ يَفتَحُ عُضويتَهُ لجميعِ الأجناسِ البشريةِ؛ فالكفاءةُ والتميزُ والقدرةُ على العطاءِ في خدمةِ اللغةِ العربية تُشكِّلُ أهمَّ معاييرِ اختيارِهِ لأعضائِهِ.

وعلى هذا فإنه يمكنُ القولُ بأنَّ هذا الاتجاهَ يضمُّ علماءَ عَرَباً وغيرَ عَرَبٍ منَ المُستشرقينَ، وتوزَّعَ أصحابُهُ بينَ أفرادٍ أو جماعاتٍ، ويشكِّلُ ظُهورُ العملِ الجماعيِّ إحدى مزايا العمل اللغوي العربي ولاسيما المعجمي في العصرِ الحديث.

اتَّجَهَ هؤلاءِ جميعاً وجْهاتٍ جديدةً[10] في البحثِ اللغويِّ العربيِّ كانَ لها أثرُها البليغُ في الاتجاهِ نحو إعدادِ المعجمِ التاريخيِّ المنشودِ للغة العربية، وقدَّموا النُّقودَ التي أظهروا من خلالِها نواقصَ العملِ المعجميِّ العَرَبِيِّ قديمِهِ ومعاصرِهِ، وقدَّموا المقترحاتِ للتخلُّصِ منها، وَبَذَروا البُذورَ الموجهةَ لتطويرِ العملِ المعجميِّ العربيِّ الجديدِ، وذلك بإخراجِ معجماتٍ عربيةٍ خاليةٍ منَ العيوب، ومدِّهِ بما ينقصه من أنواعٍ يَفتقرُ إليها، ومنها تحقيقُ مشروعِ هذا المعجمِ.

إنَّ تَفَحُّصاً فيما قدمه هؤلاءِ العلماءُ في مجالِ المعجمِ التاريخيِّ للعربيةِ سَيُوَضِّحُ أنَّ هناكَ جهوداً بُذلت في الدعوةِ إلى إنجازه، وبيانِ فوائدِهِ، ومدى حاجةِ العربِ ولغتِهم إليه، ودراساتٍ قُدِّمتْ تحدَّثَتْ عن منهجِ إعدادِهِ وبيانِ احتياجاته، أو أسهمَت في التَّجهيزِ لهُ بتقديمِ جوانبَ من متطلباتِهِ، أو بحثَتْ في معجماتٍ تاريخيةٍ أُعِدَّتْ في لغاتٍ أخرى كالإنجليزية والفرنسية.

وفي هذا المجالِ وجدنا مَنْ أشارَ إلى هذا المعجمِ أو دعا إلى تأليفِهِ من خلالِ دعوتِهِ إلى إنشاءِ جمعيةٍ لغويةٍ أوْ مَجْمَعٍ لُغويٍّ وما إلى ذلك، وَيعنينا في هذا المقامِ الاطّلاعُ على ذلكَ كله، وتسجيلُهُ؛ لِتوضيحِ فضلِ مَنْ سَبَقنا في هذا المجالِ، ولنكونَ على بَصيرةٍ بِما سَبقوا إليه لنستفيدَ منهُ، ونستأنفُ منْ حَيثُ اِنْتَهَوا؛ فهذا المعجمُ- كما هو مَعروفٌ- يَحتاجُ إلى تَظافرِ جُهودِ

الأجيالِ وَتَواصُلِها، وذلك على النحو التالي الذي ستتكفلُ سطورُ هذه الدراسةِ بِتِبْيانِهِ وتفصيلِه.

أولاً- أثرُ الدراساتِ اللغويةِ الغربيةِ:

يكشفُ الاطِّلاعُ على الدرسِ اللغويّ العربيّ الحديثِ والمعاصِرِ تأثرَهُ بالدرسِ اللغويّ الغربيّ، الذي رَفَدَهُ بروافدَ جديدةٍ أسهمت في فَتْحِ مَجالاتٍ لغويةٍ جديدةٍ في الوطنِ العربيّ، ومنها مجالاتُ تحديثِ العملِ المعجميّ العربيّ بصفةٍ عامةٍ، وإضافةِ أنواعٍ جديدةٍ فيه، ومنها المعجم التاريخي للغةِ العربية، وسنقفُ في هذا السياقِ عند الأثر الغربي في الالتفاتِ إلى هذا المعجمِ والسعي إلى إنجازه من جانب مناهج الدرس اللغوي الحديثة، ودورِ المستشرقين، وذلك على النحو التالي:

1 - مناهج الدرس اللغوي الحديثة:

وهي تشكل علامةً منهجيةً بارزةً وفارقةً في مناهج درس العرب للغتهم في العصر الحديث، وفي سياقِ المعجمِ التاريخيّ تأتي الإشارةُ إلى ما جاءَ عن علماءِ اللغـةِ Linguist في الغـربِ، ولاسيما دي سوسير(1858 - 1913م) في التفريقِ بينَ منهجينِ في الدراساتِ اللغويةِ، هما:

***- المنهج الوصفي :Synchronic

وهو يدرسُ حالةَ اللغةِ كما هي، وذلك باستقرائهِ لها، أو لظاهرةٍ من ظواهرِها في آنٍ محدَّدٍ، وهذا هو مفهوم الآنِيَّةِ التي يصفُ بها بعضُ اللغويينَ هذا المنهج، وهي- كما نفهم- لا تَعني فقط المُعاصَرَةَ Contem-porary التي يصفُ بعضٌ آخَرُ هذا المنهج بها، أو يُرادفون بينها وبينَ الآنية؛ فالدراسةُ الوصفيةُ- كما هو معروفٌ- صالحةٌ لدراسةِ اللغةِ في أيةِ مرحلةٍ من مراحلِها القديمةِ أو المعاصِرة، وقد اطَّلَعنا على دراساتٍ لغويةٍ عربيةٍ درست لغةَ شعراءَ في العصرِ الجاهليّ أو الأمويّ أو العباسيّ أو الأيوبيّ، وهلمَّ جَرّاً، وَوَصَفَتْ نفْسَها بأنها دراساتٌ وصفيةٌ، أو تنهجُ المنهجَ الوصفيَّ.

***- المنهج التاريخي Diachronic:

ويُعنى بتتبعِ اللغةِ في مراحلِها الزمكانيةِ، ويمضي معها إلى ما شاء اللهُ ا؛ وفي مجالِ المعجمِ والدلالةِ نرى اللغويين من خلالِ هذا المنهجِ يُعنونَ بتحقيقِ أمرين:

أ- التأريخ:

وهنا يقوم المُعجميُّ أو عالمُ الدلالةِ برصدِ مظاهر التغيرِ في أنظمةِ اللغةِ الصوتيةِ والبنيويةِ والتركيبةِ والدلاليةِ في حُقوبٍ معينةٍ[11].

ب- التأصيلEtymology :

ويُعنى بمعرفةِ أصلِ المفردةِ أو التركيبِ Origin؛ الأمرُ الذي يُدْخِلُ فيه الجانبَ المقارَنَ، ولاسيما جانب تأصيلِ الألفاظِ القديمةِ والدخيلةِ، ويجعلُ تداخلاً بين التأريخ والمقارنة، وهو تداخلٌ يمكن مُلاحظتُهُ أيضاً بين المنهجين الوصفي والتاريخيّ، أو إنْ شئتَ فقل: بين المعجمِ الوصفي Syn-chronic Dictionaryوالمعجم التاريخي Diachronic Dictionary.

2 - المستشرقون وأثرُهم في سياق المعجمية العربية التاريخية:

عُنِيَ الغربُ بدراسةِ أحوالِ العربِ وعاداتهم وعلومهم في بيئاتهم وأزمنتهم الممتدةِ في تاريخِهم الطويل، وأيّاً تكن أغراضُهم من هذه الدراسات، وأيّاً تكن مواقفُ جماعةٍ من الدارسينَ العربِ والمسلمين المشككةُ في سلامةِ نواياهم فإنَّ هذا لا يمنعُنا من الاعترافِ بوجودِ جماعةٍ من هؤلاءِ المستشرقين أنصفتِ العربَ والمسلمينَ، وقدمت خدماتٍ جليلةً لتراثهم الديني والأدبيّ والمعرفيّ بصفةٍ عامةٍ؛ فقد قدَّموا فيهِ الشروحَ والتحقيقاتِ العلميةَ الجادةَ، والفهارسَ التي نظَّمَته والتراجمَ الذي أذاعته، والمؤلّفاتِ التي أنصفته، وشهدت ببراعةِ العربِ والمسلمينَ في مجالاتِ العلومِ والأدب، وإسهامهم المتنوع في مجالات الحضارةِ الإنسانية.

وأرى في هذا السياقِ أنَّ الغَثَّ والتزييفَ والافتراءاتِ التي قَدَّمَها نفرٌ منهم في تاريخِنا العربيّ والإسلاميّ يُقدِّمُ فوائدَ لنا أيضاً؛ لأنه يُعرِّفنا بعقليةِ فريقٍ من الغربيينَ المعادينَ لنا، ويكشفُ لنا مخططاتِهم وآثارَهم الضارَّةَ لنا، ويدفعُنا إلى مقاومتِها، والردِّ عليها بالحجةِ والبرهان؛ لذا فنحنُ نرى أنه ليسَ هناك ضررٌ من اطّلاعِ علمائنا وخبرائنا على هذا النوعِ من التصنيفِ الماكرِ أهلُهُ، وتعريفِ الناسِ به، ولو كان من بابِ معرفةِ العدوِّ لِنَحْذَرَ مَكْرَه، وقد سبقَ لنا في مرحلةٍ مبكرةٍ من ارتيادنا للبحثِ اللغوي أنْ وقفنا على نتائجَ مفيدةٍ جَناها درسنا العربيُّ من دعواتِ بعضِ المستشرقينَ الماكرةِ بشأنِ تسويدِ العاميات في كلامِنا وكتاباتنا وتآليفنا[12].

وإذا عدنا إلى مجالِ هذهِ الدراسةِ فَسَنجدُ للمستشرقينَ دراساتٍ وأفكاراً وتطبيقاتٍ عديدةً أسهمت في تَوَجُّهِ الفكرِ اللغويّ العربيّ نحو إعدادِ المعجمِ اللغوي العربي التاريخي، إذْ عُنوا في دراساتهم للغةِ العربيةِ وغيرِها من لغاتِ الشرقِ بتطبيقِ مناهج الدرسِ اللغويّ الغربيّ من وصفيةٍ ومقارنةٍ وتاريخيّةٍ تطوريةٍ عليها، ووضعوا في هذا المجالِ المؤلفاتِ والبحوثَ التي درست أنظمةَ العربيةِ صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً بوصفها إحدى اللغاتِ السّاميَّةِ، والتفتوا إلى المعجماتِ العربيةِ، وأشاروا إلى جوانبِ النقصِ فيها، ولاسيما تكرارِ مادتِها، وعدم مَدِّها بالجديدِ، وانصرافِها عن التأصيل والتتبعِ التاريخي المقارَن، وغيرِ ذلك.

وقدَّموا في هذا السياقِ المعجميّ[13] المعجماتِ اللغويةَ العامة، والمعجماتِ الثنائيةَ أو متعدِّدةَ اللغات، ومعجمات المصطلحاتِ والألفاظِ الحضارية، والمعجماتِ التأصيليةَ التقارنيةَ، ومعجمات اللهجات والأعلام، وتحقيقَ الكتب وفهرسَتَها، ومما يُذكَرُ لهم في هذا المجالِ عنايتُهم بفهرسةِ الرسائلِ الموضوعيةِ العربية، وفهرسةِ ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان لهذه الأعمالِ المعجميةِ التي قدمها المستشرقونَ آثارٌ كبيرةٌ في فتحِ أبوابٍ جديدةٍ في الدراساتِ اللغويةِ العربيةِ الحديثة.

ومن المستشرقين الذين أسهموا في مدِّ الدرسِ اللغويّ العربيّ بدماءٍ جديدةٍ كان لها أثرها غيرُ المنكورِ في تنميةِ العمل المعجميّ الحديثِ، ومنه معجم العربيةِ التاريخي: سلفستر دي ساسي(1758 – 1838م)، وإدوارد لين(1801 - 1876م)، ورينهارت دوزي(1883-1920م)، ووليم رايت (1830 – 1889م)، وإرنست رينان(1823 – 1892م)، ونولدكه(1930 – 1936م)، وبرجشتراسر(1886 – 1933م)، وجويدي أغناطيوس الأب (1844 - 1935م)، وابنه ميكلانجو(1886 - 1946م)، وكارل بروكلمان (1868– 1956م)، وكازنوفا(ت. 1926م)، وبَول كراوْس(1904. 1944م)، وأوجست فيشر(1865 - 1949م)، وإنّو ليتمان(1875 – 1958م)، وإسرائيل ولفنسون- أبو ذؤيب-(1899 - 1980م)، ويوهان فك(من مواليد 1894م)...الخ.

ويكفي أنْ نشيرَ في هذا السياقِ إلى أنَّ بذورَ الجوانب التاريخية التطبيقية في العمل المعجمي العربي غرسها المستشرقون[14]، على النحو الذي نجده في «معجم المفردات العربية» لوليم بدول Bedwel W.(1561-1632م)، الذي عُنِيَ فيه بالمستعمل من الأسماء والأماكن وألقاب الشرف وغيرها منذ بيزنطة حتى سنة 1615م، والذخيرة العلمية لبادجر (Bad-ger 1815 - 1888) باللغتين الإنجليزية والعربية، وقد احتوت على مفردات المعجمات والمفردات المولدة الحديثة، و» معجم تطبيقي لعربية القرن العشرين» لفانيان»1894-1956)" Fagnanم)، والقاموس العربي الروسي» للمستشرق بارانوف»Baranov « الذي اعتمد فيه على النصوص الحديثة من سنة 1880 إلى 1940م، و» قاموس العربية اليوم» لهانز فير»Hans- wher "(من مواليد 1909م) وهو باللغتين العربية والألمانية، وظهر في جزأين في سنة 1952م، وفي سنة 1959م صنع له مؤلفه ذيلاً

ألحقه به، وفي سنة 1961م قام فير بالاشتراكِ مع المستشرق ج. ميلتون كون J.Milton gown بترجمتهِ إلى الإنجليزية ونشره...الخ.

وسنتناول في السطورِ التالية أعمال لين ودوزي وفيشر التي وقف الدارسون العرب عند آثارها في العمل المعجمي العربي الحديث، ولاسيما في جانبه التاريخي:

إدوارد وليم لين Lane, Ed. W:

تردد لين على مصر، وأقام فيها- كما يذكر العقيقي[15]- في(1825-1828م)، و(1833- 1835م)، و(1842- 1844م)، وارتدى الزيَّ العربيَّ، وصلّى في جوامعها، وتسمّى باسمٍ عربيٍّ هو:(منصور أفندي)، ومن مؤلفاتهِ: «أخلاق وعادات المصريين» وهو في مجلدين، وَتَرجمَ إلى الإنجليزية» ألف ليلة وليلة»، وله معجم «مدّ القاموس» Arabic- English Lexicon " "، وهو معجمٌ جاءَ شرحُ متنه بالإنجليزيّةِ، أما شواهده فكانت بالعربيةِ مجالِ الدراسة؛ لذا فإنه بحاجةٍ إلى ترجمةٍ؛ ليكونَ خالصاً بلغةِ العربِ التي قضى صاحبه جُلَّ حياته لدراستها.

وترجع شهرة" لين" في مجال الدراسات اللغوية العربية إلى هذا القاموس الذي كان ينوي إخراجه كتابين، يحتوي الأولُ على" جميع الألفاظِ القياسيةِ ومشتقاتها وأساليب استعمالاتها، ويقع في ثمانية مجلدات[16]، وقد استغرق تأليفه نيّفاً وثلاثينَ سنة»[17]، أما الكتابُ الآخَرُ فقد رأى أنْ يؤلفه[18]) في» الألفاظِ والأوابدِ اللغويةِ النادرة»[19].

وذكر الأستاذ العقيقي أن هذا المعجم «جمع لأول مرة في تاريخ المعاجم العربية، المفرداتِ من أمهات كتب الأدب، مِمّا لم يَرِدْ في المعاجم القديمة أو معجمي جوليوس وفريتاج، ومنتخبات من القرآن الكريم، بحيث أصبح قاعدةً بُنيت عليها معظمُ المعاجمِ العربية الأحدث عهداً باللغات الأوروبية، وما زال من أجود المعاجم المتداولة، أمثال: معجم كازيميرسكي بالعربيةِ

والفرنسية، ومعجم بادجر بالإنجليزيةِ والعربية، ومعجم دوزي بالعربيةِ والفرنسية»[20].

وذكر أوجست فيشر أنَّ لينَ» وَصَلَ إلى حرف(ق) فقط، وكذلك ترك عدداً من المواد ابتداءً من(أ) إلى ما بعده؛ ظناً منه أنها قليلة القيمة بالنسبة إلى غيرها، وكان معتزماً جمعها في ذيلٍ لقاموسه إلا أنه لم يوفق إلى هذا»[21].

وذكر العقيقي أنَّ كرايمر جورج « Kraemer, J."(ت. 1961م)- الذي أقام في مصر شتاء 1954-1953م- أكمَلَ هذا الجهد، وقد ظهرت التكملةُ في أربعةِ أجزاءٍ بالعربية والإنجليزية والألمانية[22].

دوزي ر. ب. ا Dozy, R. P. A :

تردد اسمُ رينهارت دوزي(1820 - 1883م) في مجال العمل المعجمي العربي الحديث، وذلك من خلالِ معجمه-Supplement aux diction naires Arabes " " تكملة المعاجم العربية"[23]، وهو جزآن، واكتمَلَ نَشْرُهُ في ليدن في عام 1871م، يقول فيشر:» أما ذيل دوزي Dozy فهو كما يدل عليه عنوانه ليس إلا ذيلاً للقواميس العربية الأخرى التي ألفها الغربيون، إذ جمع فيه موادَّ لمفرداتِ اللغةِ من جميعِ العصورِ، ومن كلِّ كتبِ الآدابِ العربيةِ دونَ تقيُّدٍ بطريقةٍ مُعيَّنَةٍ"[24].

ويُشَكِّلُ هذا المعجمُ- كما جاء عن أستاذي المرحوم- بإذنِ الله- الدكتور حلمي خليل(ت. 2010م)- محاولةً لاستكمالِ ما فات المعاجم العربية القديمة من ألفاظ الحضارة الإسلامية التي دخلت مَتْن اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي، واستقرار العرب في الأمصار والبلاد المفتوحة وترجمتهم للعلوم والمعارف المختلفة، وهى المادة اللغوية التي أغفلها أصحاب المعاجم العربية القديمة»[25]، و» فيه أثبتَ ما لم تعترفْ به المعاجمُ العربيةُ من الكلمات والتراكيب، أو على حدِّ قولِهِ اللغة غير التقليدية، وخاصة تلك-

التي- جاء بها الكُتّابُ العربُ في العصر الوسيط[26]، وترجع أهمية هذا المعجم في المقام الأول إلى أنّ دوزي لم يُغْفِلْ إثباتَ المصادر التي استقى منها مادته بل كان حريصاً على إثبات كل تلك المصادر مع كل كلمة[27].

وذكر الدكتور إبراهيم بن مراد أنَّ هذا «الكتابَ في الحقيقةِ إضافةٌ مهمةٌ جدّاً إلى المعجمِ العربيّ لا نعرفُ أنَّ أحداً من المستشرقين أو من العرب المحْدَثينَ قد أتى بمثلِها»[28].

ومما يُذكَر لدوزي في هذا المجالِ تأليفه لـ «المعجم المُفَصَّل في أسماءِ الملابسِ عندَ العرب»، ونشره في أمستردام في عام 1845م، وفيه نرى دوزيَ يقدِّمُ تصوُّرَهُ للمعجم العربيّ المقبول، وهو- كما يتضحُ منه- تصوُّرٌ يُمَهِّدُ للمعجمِ التاريخي، يقول: «عندما أتحدث عن معجمٍ عربيٍّ فإني أعني معجماً يُعرِّفنا بوضوحٍ ودقةٍ، كلَّما طلبنا فيه المعنى الدقيقَ لأيِّ لفظٍ في أصلِ استعمالِهِ بمختلِفِ الدلالاتِ المستحدثةِ التي طرأت عليه في جزيرةِ العربِ وبلادِ فارسٍ والشامِ والمغرب...الخ؛ أيْ في كلِّ الأمصارِ التي كَوَّنت تلكَ الإمبراطوريةَ الشاسعةَ التي امتدَّت ما بين بلادِ الهندِ والحدودِ الفرنسية. هو معجمٌ يرسُمُ لنا بالاعتمادِ على الشواهدِ والنصوصِ اعتماداً مستمراً تاريخَ كلِّ لفظٍ، وكلِّ عبارةٍ؛ ويُميِّزُ بين المعاني الخاصةِ بكلِّ لفظٍ في مِصرٍ عربيٍّ ما والمعاني التي يُفيدها في مِصْرٍ آخَرَ، بين ملولِ كلِّ لفظٍ عندَ الشعراءِ ومدلولِهِ عندَ الناثرين، ثمَّ هو معجمٌ يشتمِلُ على كلِّ مصطلحاتِ العلومِ والفنونِ مُفَسَّرَةً تفسيراً منهجيّاً»[29].

ويرى دوزي أنَّ زمنهُ ليس جاهزاً لإعدادِ هذا المعجمِ التاريخيِّ الذي ينشده؛ لذا فإنه يُقَدِّمُ خُطَّةً يقترحُ فيها السُّبُلَ التي يمكنُ من خلالِها تهيئةَ التربةِ الملائمةِ التي سيستقي منها هذا المعجمُ جذورَهُ وفروعَها، يقول: لكنني أُعيدُ القولَ بأنَّ الزمنَ الذي يُمْكِنُنا فيهِ وضعُ مثلِ هذا المعجمِ لا يزالُ بعيداً، وفي انتظارِ أنْ يَحينَ يمكننا التقدمُ بالتأليفِ المعجميِّ بثلاثِ طرقٍ: أولاها- هي كتابةُ حواشٍ معجميةٍ شرحاً لألفاظِ مُصنَّفٍ ما،

أو بتذييلِ نصٍّ يُنْشَرُ مُحقَّقاً لأحدِ المؤلّفين بِمَسْرَدٍ لُغَويٍّ يكونُ مستدرَكاً على المعجمِ العربيّ، وهذه الطريقَةُ هي المُتَّبَعةُ إلى حدِّ الآن؛ وثانيتُها- هي جمعُ ألفاظِ مجالٍ بعينِهِ؛ وثالثتُها- هي الاقتصارُ على تدوينِ لغةِ عصرٍ بعينِهِ، أو مِصْرٍ بعينه[30].

ويُشكِّلُ «المعجم المُفَصَّل في أسماءِ الملابسِ عندَ العرب» جانباً مُهِمّاً من إسهامهِ في تطبيقِ هذهِ الخطةِ، ومِمّا له في هذا المجالِ أيضاً «شرح قصيدة ابن عبدون بقلم ابن زيدون مع تحقيق وفهرس بالأسماءِ وعناوينِ الكتب المذكورة فيها مرتبة على حروف المعجم»، ونشرَها في ليدن في 1846م، وفهرس المخطوطات الشرقية في جامعة ليدن 1851م، وأتمَّ معجم الألفاظِ الإسبانيةِ والبرتغاليةِ من أصلٍ عربيٍّ لأنجلمان، ونشره في ليدن في 1869م[31].

أقول: إنَّ اطّلاعاً على الدراساتِ والمؤلفاتِ التي يقدّمها أساتذةُ الجامعاتِ العربيةِ وطلبةُ الدراساتِ العليا فيها في مجالاتِ دراسةِ لغةِ أديبٍ؛ أو عصرٍ؛ أو بيئةٍ؛ أو مستوىً لغويٍّ؛ أو استدراكٍ على معجمٍ أو تصحيحٍ فيه، وما إلى ذلكَ، -لَيوضِّحُ جَدوى مقترَحاتِ دوزي بشأنِ التمهيدِ لإعدادِ معجمِ اللغةِ العربيةِ التاريخيّ.

أوجست فيشر «Fischer, August» :

اقْترنَ المعجمُ التاريخيُّ عند العربِ باسمِ هذا المستشرقِ الألمانيّ الذي شَكَّلَت دراساتُهُ وأعمالُهُ في هذا المجال أهمَّ ما اعتمدَ عليهِ علماءُ العربيةِ في اتجاههم نحو إعدادِ هذا المعجم؛ فقد جاءَ ما أعدهُ هذا الرجلُ من نماذجَ في عَرْضِ بعضِ مفرداتِ العربية عرضاً تأصيلياً تاريخياً مقارناً أهمَّ بدايةٍ لإعدادِ معجمٍ تاريخيّ للغةِ العربيةِ تقعُ في أيدي علماءِ الأمةِ العربية.

وقد شَكَّلَ اختيارُ مجمعِ فؤادِ الأول للغة العربية- مجمع اللغةِ العربيةِ الآن- في القاهرةِ لفيشر عضواً فيها منذ نشأته، واعتمادُ معجمهِ ومنهجهِ

أساساً ينطلقُ منه لإعدادِ معجم اللغةِ العربيةِ التاريخيّ عاملاً مُهِمّاً في ذيوعِ صيتِ الرّجل في هذا المجالِ الحيويّ من العملِ اللغويّ الحديث، وكانَ لإصدارِ هذا المجمعِ لنموذجٍ من معجمِ فيشر عاملاً آخَرَ في ترسيخِ فضلِ هذا الرجلِ الذي تضلّعَ من العربية، واعترفَ لأهلِها بحبِّ التعمّقِ في أسرارِ لغتهم، ولعلمائِها بالفضلِ والنبوغ.

يقول فيشر:» وإذا استثنينا الصينَ لا يوجَدُ شعبٌ آخرُ يَحِقُّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ لغته، وبشعورهِ المبكر بحاجتِهِ إلى تنسيقِ مفرداتِها حسبِ أصولِ وقواعد غيرُ العرب...، وذلك فضلاً عَمّا للعربِ من نزعةٍ إلى التفقهِ في اللغةِ: تلك النزعةُ التي تجلّت مبكرةً في دراسةِ القرآنِ اللغويةِ وفي تفسيرِهِ»[32].

أقول: برعَ فيشر في علوم اللغة تأليفاً وتدريساً، وكان حجةً في الدراساتِ الساميةِ واللغاتِ الشرقيةِ من عربيةٍ وحبشيةٍ وفارسيةٍ وسريانيةٍ وتركية؛ الأمر الذي أهَّلَهُ للتوجهِ نحو الدرسِ التاريخيّ المقارن، وتطبيقِ نتائجه في العمل المعجمي العربي، ولاسيما المعجمِ التاريخي الذي خَصَّصَ الجانبَ الأكبرَ من أخرياتِ حياتهِ للدعوةِ إليهِ وإنجازه.

أذاع فيشرُ فكرةَ عملِ هذا المعجمِ في عام 1907م[33]، حيثُ عَرَضَها على المستشرقين الألمانِ الذين اجتمعوا في مدينة بازل» Basel "، كما عرض مشروعه في عام 1908م على مؤتمرِ المستشرقين الذي عُقِدَ في كوبنهاجن، ومؤتمرِهم في أثينا في عام 1912م الذي وافق أعضاؤه عليه بالإجماعِ. ولكنه بدأ بتنفيذه في عام 1914م بعد رئاستهِ لإدارة القسم العربي الإسلامي لمعهد الاستشراق، غير أنه لم يتمكنْ من إكمالِ ما يريدُ إنجازُهُ بسببِ عَجْزِ الناشِرِ الألمانيّ عن الإنفاقِ على نشره.

وإذا كان مجمعُ اللغةِ العربيةِ الملكيّ في القاهرة قد عُنِيَ منذُ نشأته بعملِ المعجمِ التاريخي، وقدَّمَ له المقدماتِ قراراتٍ لغويةً ومنشوراتٍ وبحوثاً فإنهُ

قد تبنى إعدادَ معجمِ فيشر، حيثُ طلبت الحكومةُ المصريةُ منْهُ الإقامةَ في مصرَ؛ للتفرُّغِ لإعدادِهِ، وتكفَّلَت له بالنفقاتِ الماديةِ المطلوبةِ للتأليف، وَشكَّلَت له لجنةً لمعاونتِهِ على إنجازِهِ وتقديمِهِ للطباعة[34].

بدأ فيشرُ عملَهُ في إعدادِ معجمِهِ التاريخيِّ في القاهرةِ إلى أن اضطرتْهُ ظروفُ الحربِ العالميةِ الثانيةِ إلى العودةِ إلى بلدِهِ ألمانيا، وبقيَ هناكَ حتى عاجلتهُ المنيةُ في سنةِ 1949م؛ الأمر الذي أضاعَ كثيراً من ثمراتِ عملِهِ في هذا المعجم، ولم يُعْثَرْ منها إلا على مقدمةِ المعجمِ التي حوت على أسسِ صناعةِ المعجمِ التاريخيِّ للغةِ العربية، وجزءٍ يسيرٍ من حرفِ الهمزةِ قامَ مجمعُ فؤادِ الأولِ بطباعتِهِ ونشرِهِ في سنةِ 1950م.

هذا وقد نشر مجمع فؤاد الأولِ للغةِ العربيةِ ما تَأَتّى له العثورُ عليهِ من عَمَلِ فيشرَ في هذا المعجمِ بعنوان:» معجم فيشر مقدمته ونموذج منه»، وفيهِ عَرَضَ فيشرُ لتاريخ دعوته وعملِهِ في هذا المعجمِ حتى إقرار مجمع اللغة العربية في مصر لتبنّي إعدادهِ، وتكليف فيشر بالشروع فيه، وشكرِ فيشر لكلِّ مَنْ ساعده أو وافقه أو شجعه في تأليفه[35].

ويلاحِظُ المُطَّلِعُ على ما جاءَ في هذا الكُتَيِّبِ أنَّ فيشرَ يُطلِقُ على معجمِهِ مصطلح «المعجم الكبير» أو «معجم عربي كبير جديد» إلى جانبِ إطلاقِهِ لمصطلحات: «القاموس التاريخي» و «المعجم اللغوي التاريخي»[36]. وأنه صدَّرَ مقدمته التي صدَّرها بهذا السؤال: «هل أصبح العالم العربي، وكذلك المستشرقون بحاجةٍ إلى معجمٍ عربيٍّ جديدٍ؟»[37]؛ ليكون استهلالاً لبيانِ الحاجةِ إلى المعجمِ الموسوعيِّ الذي يصبو إلى إيجادِهِ من خلالِ نقدِهِ للعمل المعجميِّ العربيِّ؛ بياناً لخلوِّ المكتبةِ المعجميةِ العربيةِ والاستشراقيةِ من مثلِ معجمِهِ المنشود. يقول: «والآن ما هو النقص الظاهرُ في هذه القواميسِ الذي يُرجى لأجلِهِ تأليفُ معجمٍ جديدٍ كبير»[38].

أما عن متنِ هذا المعجمِ ومضمونهِ فقد جاء فيهِ عن فيشرَ قولُه: «يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة بلا استثناءٍ وُجدت في اللغة، وأنْ تُعْرَضَ على حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية»[39]، وقد شرح فيشر هذه الوجهات السبع في مقدمته تفصيلا[40].

وأوضحَ الدكتورُ بشْرُ فارس أنَّ الأستاذَ فيشر قد أوقفَهُ على جانبٍ مما دَوَّنهُ تدويناً، فرأى أنه يأتي «باللفظِ العربيّ، ويذكرُ مفادَهُ بالفرنسيةِ والإنجليزيةِ، ثمَّ يُردِفُهُ بما يُجانسهُ في السريانيةِ والأكديةِ والعِبريةِ والحميرية وما إليها، ثم يذكر المعانيَ المختلفةَ إذا كان اللفظُ مشترَكاً»، ثم يَبْسُطُ دقائِقَ كل معنىً من حيثُ موقعُ اللفظِ في سياقِ الكلام، وهمهاتَ أنْ يُرسِلَ القولَ إرسالاً؛ فهو يحتجُّ في كلّ موطنٍ بنصوصِ قبولِها مبني على الضبطِ والوثوق، واستناده إلى الشعرِ الجاهليّ فالقرآنِ فالحديث فتآليفِ المؤرخين الأولين أمثال الطبري والأدباءِ السابقين كمثل ابن المقفع وأشعار المخضرمين والإسلاميينَ والطبقةِ الأولى من المولَّدين، فإنك ترى أنَّ ما جمعه لا يعدو القرنَ الثالثَ للهجرة»[41].

وهكذا فإنَّ معجمَ فيشرَ لو قُدِّرَ إنجازُهُ لَشَكَّلَ مقدمةً منهجيةً وتطبيقيةً لمادةِ المعجمِ التاريخيّ للغةِ العربيةِ الذي يرنو مجمعُ اللغةِ العربيةِ في مصرَ بل اتحادُ المجامعِ اللغويةِ العلميةِ العربيةِ إلى إعدادِه؛ فمادةُ معجمِ فيشرَ- في حالةِ إنجازها- سَتشكِّلُ جُزْءاً أساسياً يمكنُ لأيّ معجمٍ تاريخيّ للغةِ العربيةِ أنْ يبنيَ عليه، ويستفيدَ من منهجِه ومادتهِ التي كان من المفترضِ لها أنْ تشملَ اللغةَ العربيةَ الفصحى منذُ أقدمِ عصورِها إلى نهايةِ القرنِ الثالثِ الهجري.

ثانياً- علماء العربيةِ المحدثون ومجالات العمل المعجمي التاريخي:

استفادَ علماءُ العربيةِ من منجزاتِ الدرسِ اللغويّ الغربيّ في لغاتهِ الأصليةِ من إنجليزيةٍ وفرنسيةٍ وألمانيةٍ وغيرِها، وفيما كتبهُ المستشرقون باللغةِ العربية، أو قاموا بتدريسهِ في الجامعاتِ العربيةِ، ولاسيما الجامعةِ المصريةِ في بدايةِ إنشائها.

ومن علماءِ العربيةِ الذين يُذكرونَ في هذا السياق، وكانَ لهم الأثرُ الكبيرُ في إذكاءِ جذوةِ البحثِ اللغويّ الحديثِ بقضايا وأفكارٍ جديدةٍ، ومنها ما يختصُّ بموضوعنا ومادته نذكر: بطرس البستاني(1819 - 1883م)، وأحمد فارس الشدياق(1804 - 1887م)، وجُرْجي زيدان(1861 - 1914م)، ويعقوب صروف(1852 - 1917م)، وجبر ضومط(1859 - 1930م)، والأب أنستاس ماري الكرملي(1866 - 1947م)، وفؤاد حسنين علي، وعبد الوهاب عزام(1883 - 1959م)، وخليل قسطندي السكاكيني

(1878 - 1953م)، وعبد الوهاب عزام(1883 - 1959م)، وعيسى إسكندر المعلوف(1869 - 1956م)، وعبد الله العلايلي(1914 - 1966م)، وطه حسين(1889 - 1973م)، ومراد كامل(1907 - 1975)، والسيد يعقوب بكر، و خليل يحيى نامي، و عبد المجيد أحمد عابدين(1915 - 1991م)، وحلمي خليل(2010م)، وغيرهم.

وسنقومُ في هذا السياقِ بتلخيصِ أهمّ ما قدموهُ في هذا المجالِ:

*** التأصيل والتتبع التاريخي والمقارن لحياة مجاميعَ من مفرداتِ اللغةِ وتراكيبها، وذلك برصد مظاهر التغير في اللغة العربيةِ صوتاً وبنيةً وتركيباً ودلالةً، والاهتمام بالزمان والمكان في هذا السياق، والالتفات إلى علاقاتها بغيرها من اللغات، ولاسيما اللغات السامية؛ فالدكتور السيد يعقوب بكر يقول مثلاً: إن» انتماء العربية إلى أسرة اللغات السامية يفرض

على الباحث النحوي الذي يبغي التعمق والتمحيص أنْ ينهجَ نهجاً مقارناً يربطُ اللغةَ العربيةَ بغيرِها من اللغات السامية»[42].

هذا وقد صاحبَهُ هذا الهدفُ التاريخيُّ المقارنُ أيضاً في مباحثِهِ « دراسات مقارنة في المعجم العربي» التي تناولَ فيها «موادَّ لغويةً عربيةً لها نظائرُ في اللغات السامية الأخرى، وألفاظاً مُعَرَّبَةً عن لغةٍ سامِيَّةٍ أو غيرِ سامِيَّة»[43]، وقد جمع د. بكر هذه المباحثَ وغيرَها- في كتابٍ جعلَهُ بعنوان: «دراسات في فقه اللغة العربية».

وكـان مـن مظاهـرِ البحثِ التاريخيّ المقـارَنِ في دراسةِ اللغةِ العربيـةِ في العصرِ الحـديثِ : البحثُ في أصل اللغـات، واتجاهُ جمهورِ الدارسينَ [44] في مباحثهم في هذهِ القضيةِ إلى رَدّها إلى لغةٍ واحدة، واختلافُهم في ماهيةِ هذهِ اللغةِ الأصل، ونشأة اللغة، وقضية الجذر اللغوي أو تطور البنية، أو ثنائية الجذر وثلاثيته.

ومن الرّادَةِ العربِ في بَحْثِ هذهِ القضايا في الدرسِ اللغويّ العربيّ الحديثِ: أحمد فارس الشدياق، والشيخُ إبراهيمُ اليازجيُّ، وجرجي زيدان، والدكتور يعقوب صروف، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأب أنستاس ماري الكرملي، والشيخ محمد أحمد مظهر، والشيخ عبد الله العلايلي، وعبد الله أمين، وحامد عبد القادر، ود. أحمد عيسى، ود. على العناني، ود. فؤاد حسنين علي، وغيرهم[45].

وعُنِيت بعضُ المعجماتِ العربيةِ الحديثةِ في متونها بالجانبين التاريخي والمقارن؛ فمجمع اللغة العربيةِ في القاهرة وجدناه مثلاً ينتدب الدكتور السيد يعقوب بكر منذ عام 1961 لكتابة المادة السامية في المعجم الكبير[46].

وفي مجالِ التغير في اللغة العربية عبر تاريخِها الطويلِ، والمطالبةِ بتنميتها وجدنا مباحثَ لغويةً جادةً في هذا المجالِ، على النحو الذي نقرؤه

مثلاً عند جرجي زيدان في كتابه: اللغة العربية كائن حي، والأب أنستاس ماري الكرملي في: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، ونشره في سنة 1938م، وإسماعيل مظهر في كتابه: تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون، ومراد كامل في كتابه: دلالة الألفاظ العربية وتطورها، ونشره في 1963م، ومحمد خلف الله أحمد في كتابه: معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، وأصدره في عام(1961م)، وحسن ظاظا في: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، وقد ظهر في عام 1971م، وأنيس الخوري المقدسي (1885 - 1977م) في: «الكلام المولَّد في معاجمنا الحديثة»، وإبراهيم السامرائي(1916 - 2001م) في: التطور اللغوي التاريخي الذي نشره في القاهرة في عام 1966م، ورحلة في المعجم التاريخي، ونشره في 1999م، ودرس تاريخي في العربية المحكية، ونشره في عام 2000م، ورمضان عبد التواب(1930 - 2001م) في: «التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه»، ومحمود فهمي حجازي في كتابه: « اللغة العربية عبر القرون»، وحلمي خليل في كتابيه: «المُوَلَّد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام»، ونشره في عام 1978م، و «المُوَلَّد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث»، ونشره في عام 1979م، وعودة خليل عودة في كتابه: «التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم»، وقد طُبع في مدينةِ الزرقاء في الأردن في عام 1985م، وغيرهم.

ومما يدخلُ في جانبِ التغيرِ في اللغةِ ما تناولتهُ كتبُ اللحن، أو تقويم اللغةِ في العصرِ الحديثِ، وقد أَلَّفَ كثيرٌ من علماءِ العربيةِ القدماءَ والمحدثينَ مصنفاتٍ في أصولِ كلماتِ العامة، ومن هذهِ المصنفات: «بحر العوام فيما أصاب فيه العوام» للأستاذ محمد بن إبراهيم الحنبلي (ت 1028 هـ)، و «أصول الكلمات العامية» للأستاذ حسين توفيق العدل[47]، وبحث «العامية والفصيحة»للشيخ طنطاوي جوهري الذي ألقاهُ في ندوة دار العلوم في عام 1908م(48)، و «القول المقتضب فيما

وافق لغة أهل مصر من لغات العرب» لمحمد بن أبي السرور البكري (1005 - 1087هـ) [49]، و «الدرر السَّنِيَّة في الألفاظ العامية وما يقابلها من العربية» للأستاذين حسين فتوح ومحمد عبد الرحمن[50]، و «تهذيب الألفاظ العامية» للشيخ محمد علي الدسوقي[51]، و «معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية» للأستاذ أحمد تيمور[52]، و «المُحْكَم في أصولِ الكلمات العامية» للدكتور أحمد عيسى، و «اللهجة العامية في لبنان وسورية» دراسة لعيسى إسكندر المعلوف نشرها في الجزء الرابع من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، وغيرها.

ومما ينبغي التنبيهُ عليه في هذا السياقِ هو أنَّ من دارسي اللغةِ في العصرِ الحديثِ مَن قدَّمَ دراساتٍ في كتبِ اللحنِ التي وصلتنا عن السالفين، أو قدَّمَ بياناً بأسماءِ ما وصلت إليهِ يده منها؛ الأمر الذي يفيد في التأريخِ لظواهرَ لغويةٍ ظهرت في العربيةِ في مختلِفِ الأزمنةِ والأماكن.

*** الاهتمام بدراسة العربيةِ في جميع مستوياتها فصيحةً كانت أم لهجةً في ضوءِ مناهج الدرس اللغوي الحديث الوصفيةِ والمقارنةِ والتاريخية؛ فالدكتور فؤاد حسنين علي مَثَلاً يقول:» فنحن سنتجاوز الحدود التي رسمها رجال الديانة الإسلامية للعربية الفصحى، فخصوا قريشاً واللهجة القرشية بكل مقومات الفصاحة والبلاغة، ووصموا ظواهر اللهجات العربية الأخرى بالضعف والوهن والشذوذ، فنحن نعرض هنا في هذا البحث لا لهذه اللهجات فحسب، بل للغات السامية أيضاً، وبذلك فقط نستطيع فهم هذه الظاهرة اللغوية فهماً صحيحاً»[53].

وتبدو العنايةُ بدراسةِ اللهجاتِ العربيةِ: قديمِها وحديثِها ومعاصِرِها واضحةً في هذهِ الدراساتِ الكثيرةِ التي تَوَلَّتْ هذا المستوى من اللغةِ العربيةِ بالبحثِ والتحليل، وفي تسجيلِ الجامعاتِ لطلبةِ الدراساتِ العليا

رسائلَ الماجستيرِ والدكتوراه في اللهجاتِ القديمةِ والحديثةِ، وفي عناية مجامع اللغة بدراستها، وتأليف لجان اللهجات فيها، ونشرها مباحثَ وكتبٍ في دراستها[54].

هذا وقد ذكرَ د. محمد حسين هيكل- عضو مجمع اللغةِ العربيةِ في مصر، ووزير المعارف آنئذ- أنَّ عملَ المعجم التاريخي ودراسةَ اللهجات أمران» متصلان أوثق الاتصال، فاللهجات الحديثة تشتمل على قدرٍ عظيمٍ مشتركٍ من الألفاظِ والعباراتِ العربية، كما أنه قد اندسَّ إليها بِحُكْمِ الحوادثِ التاريخيةِ واختلاطِ الأممِ العربيةِ بشعوبٍ أجنبيةٍ عددٌ عظيمٌ منَ الألفاظِ غيرِ العربيةِ؛ فالدراسةُ العلميةُ المقصودةُ هنا، والتي تتفق مع مهمة المجمع، لا بدَّ أنْ يكونَ مرماها تحديدَ الألفاظِ العربيةِ في هذه اللهجاتِ المختلفةِ تحديداً علمياً دقيقاً؛ للاستفادةِ منها في وَضْعِ المعجمِ- التاريخيِّ- الذي نُصَّ عليه في أغراض المجمع»[55].

ثالثا- المعجم التاريخي والعمل الجماعي:

قلنا في مجالٍ دراسيٍّ آخَرَ بأنَّ العملَ الجماعيَّ من مميزاتِ صناعة المعجمِ العربيِّ في العصرِ الحديث، ولعلَّ أهمَّ مظاهرِ هذا العملِ الجماعيِّ ما تَمَثَّلَ في المعجماتِ التي أنجزتْها مجامعُ اللغة العربية، ولاسيما مجمع اللغة العربية في مصر الذي أشرك في إنجازها من خلال مؤتمراته وندواته مع مجمعييه المصريين مجمعيون عربٌ ومستعربون من بلادِ المعمورة، وكان من معجماته التي أنجزها المعجم الوسيط والمعجم الوجيز ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ومعجم ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون، وعشرات المعجمات في المصطلحات العلمية.

وفي مجال المعجم التاريخي للغة العربيةِ وجدنا قرارَ مرسومِ إنشاءِ هذا المجمعِ الصادرِ في عام 1932م يجعلُ من أغراضه:» أنْ يقوم بوضع معجم

تاريخي للغة العربية، وأن ينشرَ أبحاثاً دقيقةً في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها»[56].

ووجدنا هذا المجمعَ يُشَكّلُ في دورتهِ الأولى لجانَهُ اللغوية، ومنها لجنة المعجَمِ التي جعلَ من بينِ أعضائِها المستشرق الألماني أوجست فيشر صاحب فكرة وضع المعجم التاريخي للغةِ العربيةِ والبادئِ فيه[57].

ورأينا مجمعييهِ في دورتهم الثانية[58] يقررون بَدْءَ العملِ في هذا المعجمِ الذين أرادوا له أنْ يستوعبَ عصورَ اللغةِ كلَّها، ولا يقفُ باللغةِ العربيةِ عند فترةٍ محددةٍ مع مراعاةِ البحثِ في تاريخِ الكلماتِ وتطورِها على مدى العُصورِ حتى يومِنا الحاضر[59].

وإذا كانَ مجمعُ اللغةُ العربيةُ الملَكِيُّ مُنْذُ صُدورِ مَرسومِ إنشائِهِ قد عُنِيَ بتلبيةِ متطلباتِ عَمَلِ المعجمِ التّاريخيّ لِلُّغةِ العربيةِ مِنْ دراساتٍ وتوصياتٍ وقراراتٍ لغويةٍ فإنهُ- كما أشرنا- قد تبنى إعدادَ معجمِ فيشرَ الذي توقفَ العملُ فيه بعد وفاةِ مؤلفه.

وجدنا المجمعُ ينزاحُ عن المعجمِ التاريخي للغة العربية إلى المعجمِ الكبيرِ الذي ما يزالُ يُصْدِرُ ما يُنْجِزُهُ من موادِّ أحرفهِ تباعاً، مع عدمِ توقفِ أعضائهِ في مباحثهم ومؤتمراتهم عن الحثِّ على ضرورةِ إنجازِ المعجمِ التاريخيّ للغةِ العربية. صدر الجزءُ الأول من هذا المعجمِ في عام 1970م، وصدر الجزء السابع في عام 2006م، وهو خاصٌّ بموادِّ حرفِ الدال.

على أنَّ الرغبةَ العلميةَ في إيجادِ معجمٍ تاريخيٍّ للغةِ العربيةِ بقيت متوهجةً عند كثيرٍ من المجمعيين وغيرِهم من أحبارِ العربية، وتواصلت الدعواتُ والتوصياتُ والبحوثُ والندواتُ التي تحدثت في محافِلِهم عن أهميةِ هذا المعجمِ للعربيةِ والعربِ أصحابِ اللغة، وضرورةِ البدءِ في جمعِ مادته تمهيداً لإنجازهِ؛ فرأينا مَثلاً جمعية المعجمية العربية بتونس تُنَظِّمُ في المدةِ من(14 - 17) نوفمبر(تشرين الثاني) 1989م ندوةً بعنوان: «المعجم

العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه»[60]. وبالتعاون مع كلية الآداب في جامعة تونس أنجزت الجمعيةُ معجماً للشعرِ العربي في العصر الجاهلي.

وفي أوائل عام 1990م مَوّلت الدولة التونسية مشروعاً وطنياً تَشَكَّلَ أعضاؤه من أعضاء الجمعية ذاتها بعنوان: «المعجم العربي التاريخي»، ولكنه توقَّفَ، ثمَّ أعيدَ العملُ فيه بتمويلِ الدولةِ أيضاً في عام1996م؛ بغية إنشاءِ» مدونةَ المعجم العربي التاريخي»، وفي يونيو(حزيران) من عام 2003م عقدت الجمعيةُ أيضاً ندوةً بعنوان: «قضايا المعجمِ العربيّ التاريخيّ: النظرية والتطبيق». وفي أبريل 2010م نظمت مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع)»، و «معهد الدراسات المصطلحية» في مدينة فاس المغربية» ندوة المعجم التاريخي للغة العربية - قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية»، وكان من بين أغراضها:» تقويم نماذج من التجارب السابقة المرتبطة بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية (تجربة فيشر بالقاهرة– تجربة الجمعية المعجمية العربية بتونس – تجربة معهد الدراسات المصطلحية بفاس»[61].

على أنَّ اتحادَ المجامعِ[62] قد عاودَ النظرفي قضيةِ إعدادِ المعجم التاريخي للغةِ العربية في اجتماعه الذي عقده في القاهرة في مارس 1998م، حيث نصَّ في التوصيةِ الخامسةِ من محضرِ الاجتماعِ على الموافقة على مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي الذي اقترحت إعداده مجامع سورية والأردن والعراق، على أن تُتِمَّ المجامعُ الدراسةَ التي اقترحتها لتنفيذ هذا العمل"؛ ولكنه في اجتماعه التالي في سنة 1999م في القاهرةِ أيضاً قد عدَلَ عن هذهِ التوصيةِ؛ فقرر تأجيل النظرِ فيه مؤقتاً.

وبناءً على طلب مجامع دمشق وعمان وبغداد في اجتماع الاتحاد في عام 2001م أعيد النظرُ في المشروع، وَقدّمَ مجمعُ دمشقَ خُطةَ عملٍ فيه؛ الأمر الذي نتج عنه الموافقةُ على قرارٍ نصه:» وافق مجلس الاتحاد على وضع معجم تاريخي للغة العربية، على أن يدرس كل مجمع خطةً لهذا العمل

تَعرَّضَ في الاجتماع المقبل لاتحاد المجامع في شهر تشرين الثاني(نوفمبر) من عام 2001م، وتبحث الوسائل المؤدية إلى تنفيذ هذا المشروع". وشكَّل الاتحاد في اجتماعِ نوفمبر من العامِ ذاتِه لجنةً لوضع خطةٍ شاملة للمعجم التاريخي.

اجتمعت اللجنةُ لأولِ مرةٍ في عام 2004م، وتدارست أعضاؤها وضعَ خطةٍ مفصلةٍ للشروعِ في وضعِ هذا المعجم، وفيه أقرَّ الاتحادُ تأسيسَ «هيئة المعجم التاريخي للغة العربية»، وهي تابعةٌ له، ولكنها مستقلةٌ في أعمالها؛ فقد نصَّ نظامُها الأساسي في المادةِ الثانيةِ منه، على أنَّ» هيئةَ المعجم التاريخي للغة العربية هيئةٌ لُغويةٌ علميةٌ ذاتُ شخصيةٍ اعتباريةٍ مستقلة، تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية".

ونصت مادته الثالثةُ على أن" مقر الهيئة مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية، وللهيئة أن تنشئَ لها فروعاً في البلاد العربية". وجاءت مادته الرابعةُ لتختصَّ بالأهداف، وهي هدفان:"

أ- إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها؛ لبيانِ ما طرأ على مبانيها ومعانيها من تغيرٍ عبر الزمان والمكان.

ب- نشر المعجم التاريخي للغة العربية في فصلات أو أجزاء أوّلا، ثم في شكله النهائي عندما يتم إنجازه".

ووجدنا مجمع اللغةِ العربيةِ في القاهرةِ يُخصِّصُ مؤتمرَهُ السنويّ العامَّ في دورته الثانيةِ والسبعينَ(2005م – 2006م) لموضوع المعجم التاريخي[63]؛ دلالةً على حِرْصِهِ على تأليفِ هذا المعجم، ورغبتِهِ في الاستفادةِ من مكنوزِ علماءِ المعجمِ من العربِ والمستشرقين، وقد صدرت عن هذا المؤتمرِ توصياتٌ قدَّمها المجمعيون إلى اتحادِ المجامعِ اللغويةِ العلميةِ العربيةِ؛ فكان لها أثرها في حَفْزِهِ على زيادةِ عنايته بهذا المعجمِ.

وخص الاتحاد «الندوة الرابعة عشرةَ التي عقدت في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية في 2006م، وموضوعها: (حول المعجم التاريخي للغة العربية»[64].

وما يزال اتحادُ المجامعِ منشغلاً بجمعِ مادةِ هذا المعجم، وهو انشغالٌ ما يزالُ إنجازُهُ تَعترضُهُ عقباتٌ كثيرةٌ سنقف عندها في سطور أخرى من هذه الدراسة. على أنَّ مشارفةَ اتحاد المجامع لتسلم مبنى الاتحاد الدائم في محافظة(6 أكتوبر) الذي تَعَهَّدَ سُمُوُّ الشيخِ الدكتور/ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة بنفقاتِ بنائهِ، ومتطلبات إنجازِ المعجمِ يجعلُ الأملَ في الشروعِ في خطوات التنفيذِ قائماً متوقداً.

يتبع...

الهوامش:

1 - الخُطْوة، بالضم: ما بين القدمين، وجمع الكثرةِ خُطىً، والقلةِ: خُطْوات وخُطُوات وخُطَوات، وقيل: الخَطْوة والخُطْوة لغتان، والخَطْوة الفِعْل، والخَطْوة بالفتح: المَرَّة الواحدة، والجمع خَطَوات، بالتحريك، وخِطاءٌ،(خ.ط.و) لسان العرب.

2 - مجمع فؤاد الأول للغةِ العربية: معجم فيشر مقدمته ونموذجٌ منه، مطبعة الرسالة- 1950م ، ص 7.

3 - المنجد في اللغةِ والأعلام: دار المشرق- بيروت، 1986م، ط 28، ص392.

4 - عيسى ميخائيل سابا: يعقوب صروف، نوابغ الفكر العربي(37)، مطابع دار المعارف(ج. م. ع)، ط2، 1980م، ص43.

-5 لم يرد جمع كلمة(خدمة) في أساس البلاغة والصحاح والعباب الزاخر والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس...إلخ، وورد في شعر الشاعر الجاهلي: عياض بن كثير الضبي(الطويل)

حِمتِهِ رِماحُ الحِربِ والأرضِ حولِهِ أماليسُ خِدماتِ المراتِعِ سِملِقِ

وإذا كان المعجم الوسيط لم يذكر هذا الجمعَ في مادة(خ.د.م) فقد اسْتعمله في مواد: (د.خ.ل)، و(ص.ل.ب)، و(و.ص.ف).

6 - بفتح الحاء المضعفةِ وكسرِها.

7 - خَصِبَ بكسرِ الصادِ أو فتحِها، وأخْصَبَ فعلٌ مزيد، وقد خَصِبَتِ الأَرضُ خِصْباً، فهي خَصِبةٌ، وأَخْصَبَتْ إخصاباً؛ والخِصْبُ بالكسْرِ: نقيضُ الجَدْب، وهو كَثْرَةُ العُشْبِ، ورَفاغَةُ العَيْشِ؛ يقال: بَلَدٌ خِصْبٌ، بالكسرِ، وَبَلَدٌ أخْصابٌ، وأرَضُونَ خِصْبٌ وخِصْبَةٌ بكسرِهما، أو خَصْبَةٌ، بالفتح، وَمَكانٌ مُخْصِبٌ وخَصيبٌ، يُنظر: لسان العرب+ القاموس المحيط(خ. ص. ب).

8 - جاء في تاج العروس مادة:(س. ي. ج)" صَرّحَ الفيومي بأنَّ ياءَهُ عن واوٍ كصِيام. وكذا أبو حيان، وأكثرُ أئمةِ النحو على أنه واوي العين. ففي المصباح: السّاج والسِّياجُ: ما أُحيطَ بهِ على شيءٍ من النَّخْلِ والكَرْمِ، من شَوْكٍ ونَحْوِه، والجمعُ أَسْوِجَة وسُوجٌ، والأصلُ بضمّتين، مثل: كِتاب وكُتُب، لكنه أُسْكِنَ؛ استثقالاً للضّمّة على الواو؛ وقد

سَيَّجَ حائطَه تَسْييجاً. وفي الأساس: سَوَّجْت على الكَرْمِ، بالواو، وسَيَّجتُ، بالياء أيضاً: إذا عمِلْت عليه ساجاً. ومثله في المصباح".

9 - يُنظر بحثُنا:" المعجم التاريخي للعربية: ماهيتُهُ ودوافعُ تصنيفِهِ ومتطلباتُهُ وبذورُهُ التراثية"، بحث منشور في: مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة، العدد(109) القسم الأول- جمادى الأولى 1428هـ= مايو 2007م. بالقاهرة، في دورته(72)، 2006م.

10 - لم تذكر معجمات العين والصحاح وأساس البلاغة واللسان والقاموس وتاج العروس وغيرها كلمة وجهاتٍ، ومجمل ما جاء فيها:" الوِجْهَةُ والوُجْهَةُ، بكسر الواو وضمها، وجِهَةُ الأَمرِ وجَهَتُهُ ووِجْهَتُه ووُجْهَتُهُ: وَجْهُهُ. جاء عن الجوهري: الاسم الوِجْهَة والوُجْهة، بكسر الواو وضمها، وما له جِهَةٌ في هذا الأَمرِ ولا وِجْهَةٌ أَي لا يبصرُ وجْهَ أَمره كيف يأْتي له. والجِهَةُ والوِجْهَةُ جميعاً: المَوضعُ الذي تَتَوَجَّهُ إليه وتقصده. وفي القاموس:" والجِهةُ، بالكسر والضم: الناحِيةُ، كالوَجْهِ والوِجْهَةِ، بالكسر. ج: جِهاتٌ"، وَفَعَلَ المعجمُ الوسيطُ فِعْلَ ما سبقه من معجمات، ولكنه استعمل- كما لاحظتُ- الجمع(وجْهات) مرتين، قال في مادة:(ص.ر.ف):" وتصاريفُ الرياح تقلبها في وجهاتها"، وفي مادةِ(ف.ن.ن)، قال:" وَوَجَّهها وجْهاتٍ مختلفة".

11 - والحِقْبَةُ بكسرِ الحاء: مُدَّةٌ من الدَّهْرِ لا وَقْتَ لها، والسَّنَةُ، والجمع: حِقَب، وحُقوب، والحُقْبُ بضمّ الحاءِ وسكونِ القاف، والحُقُبٌ، بضم الحاءِ والقافِ: ثمانونَ سَنَةً أو أَكْثَرُ، والدَّهْرُ، والسَّنَةُ أو السِّنونَ، والجمعُ: أَحْقابٌ وأَحْقُبٌ وحِقابٌ. وقوله تعالى: أَو أَمْضِيَ حُقُباً: قيل: معناه سنةً؛ وقيل: معناه سنين، وبِسِنينَ فسره ثعلب. قال الأَزهري: وجاء في التفسير: أَنه ثمانون سنة. فالحُقُب على تفسير ثعلب، يكون أَقَلَّ من ثمانين سنة، يُنظر لسان العرب، والقاموس المحيط(ح. ق. ب).

12 - يُنظَر ما كتبناهُ في:" اتجاهات الفكر اللغوي في مصر العربية"، بعنوان:" ازدواجية اللغة وأثرها في الفكر اللغوي العربي الحديث، حيث عرضنا لآراءِ دعاةِ العاميةِ ومعارِضيهم، وآثار الدعوة إلى العامية في البحث اللغوي الحديث، ص -222 293.

13 - تُنظَر مجموعةٌ لا بأسَ بها من معجمات المستشرقين في كتاب الأستاذ نجيب العقيقي:" المستشرقون"، دار المعارف بمصر، ط4/ 1981م: ج3/ ص -454 462، إضافةً إلى معجمات أخرى ورد ذكرها في أجزاء الكتاب الثلاثة.

14 - الدراسات اللغوية الحديثة في مصر في الفترة من -1932 1962م،(رسالة ماجستير)، جامعة الإسكندرية، 1987م، ص -435 437.

15 - المستشرقون، ج2/ ص 54.

16 - طُبِعَ من هذه المجلدات في حياته خمسةُ أجزاء،" وَنَشَرَ حفيدُهُ(بول) الأجزاء الثلاثة الأخيرةَ منها مع مقدمةٍ وترجمةٍ للمؤلّف"، واستمر نشرُ هذا المعجمِ في لندن من سنة 1863 إلى 1893م، وأعيدَ نشره في لبنان في عام 1968م، وهي النشرة التي اطّلعنا عليها في هذه الدراسة.

17-Edward W. L.: Arabic- English Lexicon, Offset conrogravure, Beirut-Lebanon, 1968, P. 1.

18 - ذكر ناشر مد القاموس أن وفاةَ لين" دون إكماله فلم يصدره قط"، على أن الدكتور النعيمي يذكر أن صدور معجم دوزي حملَ المستعربَ الإنجليزيَّ ستانلي لين بول- حفيد لين-" على الإحجام عن إصدارِ الكتاب الثاني من(مدِّ القاموس) أو(مدِّ اللغة)...الذي كان يحوي مثل ما يحويه معجم دوزي من ألفاظ"، ينظر: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّقَ عليه:د. محمد سليم النعيمي، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام- دار الرشيد للنشر- بغداد، 1980م، ص 11.

19 - Arabic- English Lexicon: Op. Cit., P.1.

20 - المستشرقون، ج2/ ص 55 + ج3/ ص 456

21 - معجم فيشر مقدمته ونموذج منه، ص 24.

22 - المستشرقون، ج2/ ص 466 + ج3/ ص 460.

23 - سمّاه المستشرقُ أوجست فيشر" ذيل القواميس العربية"(أ)، وذكرهُ الدكتور إبراهيم بن مراد باسم" المُستدرَك على المعاجم العربية"(ب)»، وذكر الدكتور النعيمي أن من ترجمات اسم هذا المعجم أيضاً:" الملحق بالمعاجم العربية، وملحق وتكملة القواميس العربية"، وأنه اختار" تكملة المعاجم العربية"،" لا لأنهُ أفضلُ ترجماتِ الاسمِ الفرنسيّ بل لأنه أشهرها وأسْيَرُها؛ ولذلك أطلقته مكتبة لبنان اسماً لطبعة الأوفست التي نشرتها سنة 1969"(ج)، بل 1968م كما هو منقوشٌ في المعجمِ ذاته.

(أ) معجم فيشر مقدمته ونموذج منه: ص6.

(ب) د. إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت/ لبنان، ط1987،1م، ص 201.

(ج) مُقَدِّمة الترجمة(النعيمي): ص 11.

24 - السابق: ص24.

25 - د. حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط1/ 1980م، ص 149-148.

26 - د. حلمي خليل: المولَّد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب- الإسكندرية، ط1/ 1979م، ص 224-223.

27 - السابق: ص 224.

28 - دراسات في المعجم العربي، ص 201.

29 - السابق، ص 199.

30 - السابق: ص 200.

31 - المستشرقون: ج2/ ص -309 310.

32 - معجم فيشر مقدمته ونموذج منه: ص 3.

33 - ينظر ما نشره مجمع فؤاد الأول بعنوان: معجم فيشر مقدمته ونموذج منه، ص -33 38، حيث جاءَ فيهِ عَرْضُ فيشرَ لتاريخ هذا المعجمِ حتى إقرار مجمع اللغة العربية في مصر لتبني إعدادهِ، وتكليف فيشر بالشروع فيه، وشكرِ فيشر لكلِّ مَنْ ساعده أووافقه أو شجعه في تأليفه.

34 - محاضر د.5/ ص +125 مجلة المجمع ج5/ ص +9 مجموعة القرارات: ص +128 معجم فيشر مقدمته ونموذج منه: ص 35.

35 - يُنظَر، معجم فيشر مقدمته ونموذج منه: ص -33 38.

36 - يُنظَر في السابق: ص +6 +7 +24 +35 39.

37 - السابق: ص 1.

38 - السابق: ص 6.

39 - معجم فيشر مقدمته ونموذج منه: ص 24.

40 - السابق: ص -24 28.

41 - د. بشر فارس: معجم الأستاذ فِشر، المقتطف، 1 ديسمبر 1935م= 5 رمضان 1354هـ، م 87/ ج 5/ -531 532.

42 - د. السيد يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية، مكتبة لبنان- بيروت، 1969م: ص- ط.

43 - السابق: ص- م.

44 - يُنظر مَثَلاً: الخواجة جرجس بطرس التبشراني: في تفرع اللغات وتفرق البشر، المقتطف، السنة السادسة: آب 1881م، ص +154 يعقوب صروف: أصل اللغات ونموها، المقتطف، السنة الحادية عشرة، كانون الأول- ديسمبر- 1886م، ص 137.

45 - ينظر، اتجاهات الفكر اللغوي في مصر العربية، ص -362 381.

46 - دراسات في فقه اللغة العربية: ص ك.

47 - صدرَ عن مطبعة مدرسة والدة عباس الأول بالقاهرة ط2/ 1907م

48 - العامية والفصيحة: مجلة المقتطف, عدد أبريل 1908م.

49 - حققه السيد إبراهيم سالم، راجعه وقدم له إبراهيم الإبياري، مطبعة مخيمر- الناشر: دار الفكر العربي، 1962م.

50 - صدرت طبعته الأولى عن مطبعة النيل بمصر ، ط 1/1908.

51 - ظهر جزؤه الأول(ط/1) في سنة 1913، أما جزؤه الآخَرُ فقد ظهر في سنة 1923م.

52 - حققه د. حسين نصار، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1971م.

53 - د. فؤاد حسنين علي: أداة التعريف في اللغة العربية"، مجلة كلية الآداب، ج7، ص171.

54 - يُنظر في الحديث عن اللهجات ودراستها: الدراسات اللغوية الحديثة في مصر، ص -66 72.

55 - د.محمد حسين هيكل: كلمة وزير المعارف د.محمد حسين هيكل، محاضر الجلسات: د.9،8،7/ ص41.

56 - مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: ج1/ ص+7-6 محاضر الجلسات: د. 1، ص+168-167 مجلة مجمع اللغة العربية: ج8/ ص هـ+ محاضر الجلسات: د. 7 ، 8 ، 9 / ص+8 مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية: ج5/ ص175.

57 - ينظر، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: ج1/ ص 31.

58 - محاضر الجلسات: د. 2/ ص 29.

59 - تقرير عن منهج العمل في المعجم الكبير: محاضر الجلسات، د. 14، ص+89 مجلة المجمع: ج7/ ص 179.

60 - يُرجع للاطلاعِ على توصيات هذه الندوة: مجلة جمعية المعجمية العربية المعجمية: العددان الخامس والسادس،(1909هـ = 1989م)-(1910= 1990م).

61 - يُرجع للاطلاعِ على أعمال هذه الندوة من بحوثٍ وتوصيات:" أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية"، وقد أصدرتهما مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع) في مجلدين كبيرين في عام(2011م)- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

62 - اعتمدت في حديثي عن جهود اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مشروع المعجم التاريخي للغة العربية على محاضر اجتماعات لمجلس الاتحاد، ومنها" محضر اجتماع ندوة حول المعجم التاريخي في المدة: 3-5/11/2009م، الموافق: 17/11/1430.15هـ" الذي اتفق فيه" على أن تكون مرحلة الجمع الأولى تبدأ من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية 132هـ". وذلك بناءً على اجتماع اللجنة التي شكلها" المجلس العلمي في اجتماعه الثاني بتاريخ 21-23/10/ 2008م" التي كلفتها" ندوة المعجم التاريخي المذكورة في تاريخ 3/11/2009م بتقديم مقترحاتها وآرائها للشروع في إعداد المعجم، واجتمعت اللجنة- كما جاء في محضر

اجتماع الندوة المشار إليه- في مساءِ يوم تكليفها في مقر إقامتها في فندق شبرد في القاهرة، وانتهت إلى ما يلي:" اتفق الحاضرون على تقسيم العمل المتعلق بإعداد قائمة المصادر المؤرخة للفترة المحددة في اجتماع سابق، وهي: -1 العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والأموي حتى نهاية(132 هـ). -2 إقرار بيانات بطاقة المصادر المؤرخة على النحو التالي: اسم الشهرة لصاحب النص. الاسم الأول والثاني، تاريخ وفاة المؤلف بالهجري والميلادي، اسم الكتاب كاملاً، اسم صاحب النص الأصلي، تاريخ تأليف الكتاب إن أمكن في المصادر الناقلة، اسم المحقق، الطبعة، ويجب اعتماد طبعات علمية محققة، الناشر، تاريخ النشر. -3 إقرار بطاقة الجمع للمداخل المعجمية بحسب النموذج المرفق بالمحضر فيما يختص بالجذر، فيما تضمن المدونة الخاصة بالوحدات المعجمية الجزئية البيانات التالية....تقوم بإعداد قوائم المصادر للمرحلة المقصود جمع مادتها وهي:(العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول حتى نهاية دولة بني أمية 132هـ)، على أن تنجز عملها في غضون أربعة أشهر من1/11/2009م"، وقامت اللجنة- كما جاء في نصوص" محضر الاجتماع الدوري السنوي لاتحاد المجامع للعام 2010م، في المدة من 8-6/ أبريل 2010م، الموافق: 23-21/ 4/ 1431هـ بإنجاز عملها" المتمثل في إعداد قائمة مصادر المعجم التاريخي للغة العربية للمرحلة التي يراد جمع مادتها المعجمية (في المرحلة الأولى من العمل في المعجم) وهي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول حتى نهاية دولة بني أمية، سنة 132هـ"، وينظر أيضاً، محضر" لجنة إعداد القوائم في المدة من(4- 5)/4/2010م الموافق:(19- 20)/4/1431هـ".

63 - قدمتُ في هذا المؤتمر دراستين، جاءت الأولى بعنوان:" نحو مشاركةٍ جماهيريةٍ في جمعِ متن المعجم التاريخي للغةِ العربية"، والأخرى بعنوان:" المعجم التاريخي للعربية: ماهيتُهُ ودوافعُ تصنيفِهِ ومتطلباتُهُ وبذوره التراثية"، وقد نُشرتا في مجلة مجمع اللغة العربيةِ في القاهرة، د.(72)، العدد(109)- القسم الأول، جمادى الأولى 1428هـ= مايو 2007م، والعدد(110)- القسم الثاني، جمادى الأولى 1428هـ= مايو 2007م.

64 - يُنظر كتاب:" اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في عيده الذهبي"، إعداد: أحمد حامد حسين، مطابع دار الجمهورية- القاهرة: 1432هـ = 2011م، ص 55.